

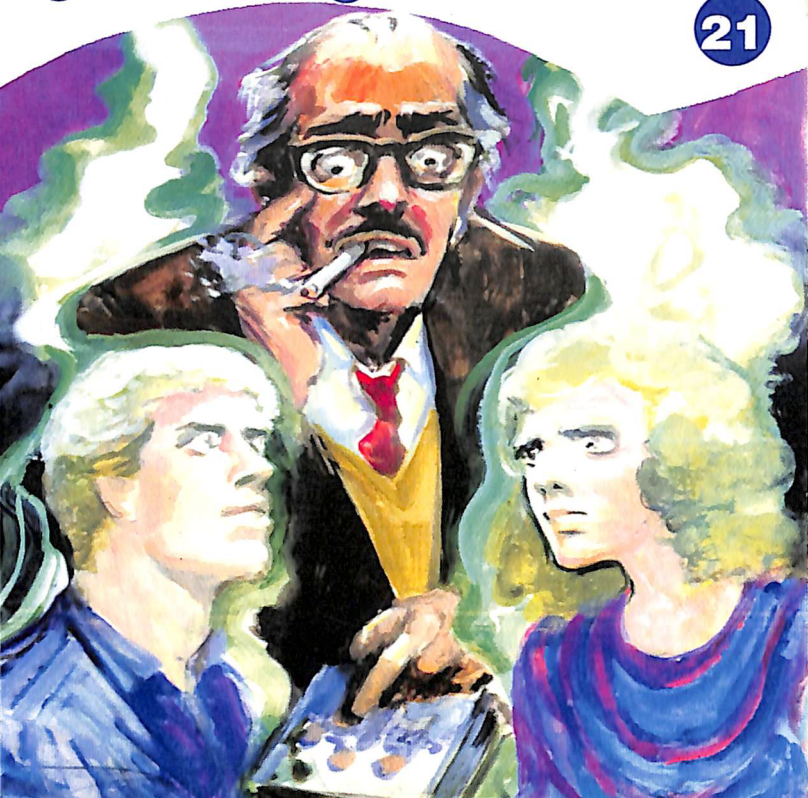
روايات مصرية للجيب

أسطورة

عدو الشمس

ما وراء الطبيعة

21



روايات مصرية للجيب

٢١٢٦٩

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة عدو الشمس

قالوا إن الأشخاص الذين لا ينظرون في عينيك مباشرة ، هم أشخاص لا يستحقون ثقتك .. فلا تأمن لهم أبداً .. ترى ماذا يقولون عن الأشخاص الذين لا تظهر صورهم على الأفلام الفوتوغرافية ؟ .. الأشخاص الذين لا ظل لهم .. والذين لا يتحملون ضوء الشمس ؟ .. الأشخاص الذين يوجدون حولنا ولا نعرف عنهم شيئاً ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة المينوتور

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع كامل صدفى بالفيحة - القاهرة - ت ٥٩٠٨٤٥٥

التمن في مضر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

21

روايات مصرية للجيب
ماورا، الطبيعة
أسطورة عدو الشمس

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/حمادى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمسائلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨، ١٠ شارع ٧؛ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة -؛ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر
الجديدة - القاهرة ت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

21

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة عدو الشمس

بقلم

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٤٥٥ - القاهرة

مقدمة

إنها من نوع الأمسيات التي أفضل ...
(عبد الوهاب) يترنم في المذياع بإحدى قصائده
الفصحى القديمة .. تعرفون بالتأكيد تلك الأغاني التي
يهمهم فيها مع الموسيقى بين مقاطع الكلام ..
ما أروعها !

وأمامي ديوان شعر لـ (تاغور) الشاعر الهندي
العظيم .. الديوان مترجم إلى العربية لكن الترجمة لم
تفسد شيئاً من حرارة الكلمات ووهج العاطفة المنبعثة
من قلب عرف معنى التسامح مع الكون ..

أنا أيضاً تعلمت أخيراً كيف أفهم الكون وأحبه ، بعد
ما ضاع شبابي في محاولات خرقاء لتغييره أو تهذيبه .
اليوم فقط فهمت أن هذا هو (أفضل العوالم الممكنة)
وأنا حقاً لمحظوظون ...

هل حان وقت الكلام ؟ ..

إذن فلتسترح قليلاً يا (عبد الوهاب) أيها الملهم ..
ولتغف قليلاً يا (تاغور) العبقري .. ولا تغضبا مني ..
أنا لست ملهماً ولا عبقرياً مثلكما .. لكنني أملك

بعض حكايات (مسلية) للغاية ، كما كان (دوماً)
يصف رواياته فى آخر حياته ..

للأسف لا توجد لدى فرصة للاختيار اليوم .. فأننا
ملزم بأن أحكى لكم قصة (عدو الشمس) التى وعدتكم
بها بعد لقائى مع د . (لوسيفر) فى (نيويورك) مع
حكايات (التاروت) ..

لست فى حلّ من أن أوّجل ذلك ، لأن غضبكم على
تأجيلى قصة الكاهن الأخير لم يهدأ بعد . وأنا لا أكرر
أخطائى مرتين إلا حين لا يكون أمامى سبيل آخر ...

دعونا إذن نصغ إلى قصة عدو الشمس ... وهى
خالية من الرعب تقريباً .. وهذا - حتماً - يناسب الأنسات
الصغيرات الجالسات هاهنا .. لكنها طريفة ومشوقة
وهذا - حتماً - يناسب الجميع ...

تعالوا معى عبر أحداث هذه القصة التى أعتقد أنها
ستكون أدق ما كتبت .. لأنها عبارة عن مذكرات كتبتها
فى ذات وقت حدوثها .. وبالتالي لم يتدخل وهن الذاكرة
فى حرف منها ..

وسأقدم لك هذه المذكرات كما هى دون تعليق ..

* * *

١ - حكاية صورة ..

الثلاثاء ٨ يوليو :

عادة غريبة هي أن يجلس المرء إلى مكتبه ليكتب مذكراته .. خاصة إذا ما كان المرء إنساناً عادياً من الذين تزخر بهم الطرقات وطوابير المجمعات الاستهلاكية .. ، في رأى أن من يجروا على هذا لابد أن يكون من عينة (العقاد) أو (سعد زغلول) أو (روميل) حيث تشكل الحوادث الصغيرة في حياته (تاريخاً) حقيقياً تسترشد به البشرية من بعده ..

أما بالنسبة لفرد تقليدى مثلى فلا بد أن المذكرات لن تزيد على : صحوت من النوم - أفطرت - ذهبت للعمل - عدت من العمل - نمت - صحوت - خرجت - نمت ..

إذن لماذا قررت أنا أن أمارس هذه الجريمة !؟

المشكلة هي أن الأيام تتراكم في مخزن ذكرياتى .. زكائب من الوجوه وأكداس من العلاقات وسلال كاملة من الوعود التي لم أف بها بعد ...

شعرت اليوم بأننى بحاجة إلى تنسيق كل هذا وإلا فالويل لى .. وبما أننى - أصلاً - من النوع نافذ الصبر

الذى لا يواظب على التنفس إلا لأنه يتم رغماً عنه ،
فإننى لا أتوقع أن تستمر هذه العادة الذميمة طويلاً ...
أتوقع أن أواظب على الكتابة بضعة أيام .. شهراً أو
أكثر .. ثم أنسى الأمر برمته و (تعود ريمة لعادتها
القديمه) .. لا تخشوا شيئاً إذن ...

* * *

الأربعاء ٩ يوليو :

أشعر بخمول غير عادى بعد عودتى من (نيويورك) ،
وتلك الحكاية الغريبة التى كانت لى مع المدعو
(لوسيفر) .. لعله الحرّ .. لعله الإرهاق .. لعله
الشعور بالوحدة ..

لكننى أشعر بكلمات الأديب البرازيلى (ماشاو
دوأسيس) : لا أدرى من أين أبدأ الحياة ! ..

لا أجد فى روحى الرغبة فى عمل أى شىء سوى
الجلوس فى الدار أقرأ كتباً عن السحر ، وأقاوم رغبة
التدخين التى تمزقتنى .. أشعر بالحاجة إلى إخراج هذا
السمّ من حياتى بأى ثمن ...

أتحرق شوقاً كى أذهب إلى المعمل لأرى تلك الصور
التي كنت التقطتها قبل سفرى إلى (نيويورك) .. وهى
تلك الصور التى بنى د. (لوسيفر) عليها قصته
المرعبة الخاصة بى ..

القصة تتعلق بظالبين - فتى وفتاة - أحدهما من النوع المسمى (عدو الشمس) أو (ألبينو) .. عرفت من طلبتي أنهما زوجان .. وأنهما حديثا الظهور فى كليتنا .. وأنهما انغزاليان تماما وميالان إلى الانطواء ...

أثارت ريبتي - فى أثناء رحلة القطار إياها - محاولتهما الدعوب من أجل الفرار من عدسة الكاميرا ، حتى ظننت بهما الظنون .. إلا أننى نجحت فى التقاط صورة لهما خلسة على سبيل العناد ، وأرسلت الفيلم إلى المعمل ونسيت كل شىء عنه ..

إلى أن تذكرنى د . (لوسيفر) بالأمر حين قرأ لى أوراق (التاروت) ، أما رؤيته الخاصة لما سيحدث فهى أننى لن أجد أثرا للزوجين فى الصور عند عودتى إلى مصر ..

التفسير : تفسير غريب ومضحك هو أن الزوجين قادمان من عالم آخر ، ويتضح لى أنهما مخلوقان بشعان لزوجان يههما بأى ثمن أن يستردا هذه الصورة .

والنتيجة : يتسلان إلى شقتى ليلا ليستردا الصور ، وتنتهى القصة بوفاتى - عليهما اللعنة - وبأشع الطرق .

ملحوظة : إلى حد ما تذكرنى هذه الحبكة بحبكة فيلم

(تكبير) لـ (أنطونيوني) الذى عرض فى نادى سينما
القاهرة العام الماضى - ١٩٦٧ - وهو يناقش الصورة
التي تبدو فيها جثة .. ويكون على المصور أن يواجه
مطاردة لحوحا من فتاة تريد هذه الصورة ..

وطبعًا لم يكن (أنطونيوني) يتحدث عن الموضوع
من حيث كونه مرعبًا .. بل ليوحى بعبثية وهراء ما
نكافح من أجله ..

ما علينا ...

غداً سأستجمع عزيمتى وأرتدى ثيابى وأحلق نقتى
ثم أبحث عن الحذاء (ليتنى أذكر أين رميت هذا
الأحمق) .. وأذهب إلى معمل التصوير لأبحث عن هذا
الفيلم ...

* * *

الخميس ١٠ يوليو :

لقد فعلتها ... !

أى والله ! .. نجحت فى الانتصار على حالة الجمود
التي كنت أمر بها ، وخرجت إلى المستشفى ثم عرجت
على معمل التحميص إياه لأنكرهم بالفيلم ... لكن الفتاة
التي تعمل هناك (وهى بالمناسبة معتوهة نوعًا) قالت
لى وهى تتأمل الإيصال وتشهق :
- لكن هذا منذ شهر تقريبًا .

ضغطت على أعصابى .. وقلت :

- لا أعتقد أن الأمر يتعلق بقصعة من الثريد لو لم
أسارع إليها لنفد الثريد منها .. هذا الفيلم ثابت .. ولو
أننى تركته عامين فالمفترض أن أجده هاهنا .

- أعرف .. لكن .. المشكلة هى أن ...

وعكفت - مع فتاتين أخريين - نتفحص عشرات
الأكياس الورقية التى تحوى أفلاماً أخرى .. ثم هزت
رأسها فى تعاسة :

- هلا جئت غداً .. ربما كان ...

تساعد الدم إلى رأسى :

- إذن فنظام هذا المعمل لا يزيد على نظام سوق
الأغنام ..

فى حرج قالت وهى تنصرف قاصدة زبوناً آخر :

- المشكلة أن حادث سطو قد وقع هنا منذ أسبوع ..
ومن لحظتها اختلط كل شىء .. ثم جاءت الشرطة لتزيد
الأمر سوءاً .. هيه !.. أفندم !.. متى أحضرت الفيلم ؟
تركتها وركبت سيارتى وأنا أشعر بأننى عوملت
بإهمال لا أستحقه ..

وفى الطريق إلى دارى خطرت لى بعض أفكار أعتقد
أنها لا تخفى على ذكاء أحد ...

يجب أن أتأكد ..

أدرت قرص الهاتف فى شقتى طالباً (عبد المجيد)
صديقى المحاسب الذى يقطن فى شقة تطل شرفتها على
معمل التصوير ..

وسمعت صوته الغليظ يتساعل عمن هناك .. فقلت
فى غيظ :

- إنه أنا طبعاً يا أحمق .. من سواى ؟

- لكنا لم نقل حرفاً .. فكيف تتوقع منى أن ... ؟

- لا عليك .. قل لى .. متى وكيف سرق معمل التصوير

الذى أمام دارك ؟

- اهتمام غير عادى .. على كل حال هو سرق منذ

أسبوع تقريباً .. وسرقته لغز .. لأن السارق لم يمس

شيئاً ذا أهمية سوى ... مجموعة من الصور

الفوتوغرافية والأفلام التى لم يتم تحميضها !

- هل أنت موقن بهذا ؟ ..

- حتماً .. إن (سليمان) صديقى و ... قل لى .. كيف

حالك أولاً ؟ ومتى عدت من (أمريكا) ؟ .. إن أسفارك

هذه ..

كان رأسى يهدر كمحرك توربيني عملاق ..

أجبتة بعبارات قصيرة ، ثم جلست أفكر فى مغزى

هذا ..

ظاهرياً يبدو الأمر كله مجرد صدفة .. لكننى - وقد سمعت ما قاله د. (لوسيفر) - أشعر بهاجس معين .
لماذا لا تكون سرقة محل التصوير جزءاً من حماس هذين الزوجين لاسترداد صورتها؟!
يبدو لى الأمر كذلك ...

ولكن كيف عرفا أننى اخترت هذا المعمل بالذات ؟ ..
للمرة الأولى أشعر بالذعر يغمرنى .. لا يمكن أن يتنبأ (لوسيفر) بالمستقبل .. أنا أعترف له بقدرته على رؤية الماضى - ربما عن طريق قراءة الأفكار -
لكن نبؤاته بصدد الغد أثبتت فشلها جميعاً ..
إنن .. الأمر لا يعدو أن يكون صدفة ..
غداً - الجمعة - أعود إلى المعمل ، وأحاول أن أجد
صورى المأفونة هذه ...

* * *

الجمعة ١١ يوليو :
بعد صلاة الجمعة قصدت المعمل إياه ..
فى هذه المرة لم أجد هناك سوى تلك الفتاة البلهاء ،
حيث أن الجميع اتصرف لتناول الغداء .. فما إن رأتنى
حتى أشرق وجهها ، ومدت يدها تخرج لى كيساً ورقياً ..
وتقول :

- د. (رفعت إسماعيل) ! .. لقد وجدنا صورك !
سألتها وأنا أدرس الكيس فى جيبى وأناولها الإيصال :
- مرحى ! .. أين وجدتموها !
- كان الفيلم السلبي معلقا فى غرفة التحميص .. فلم
يفطن إليه أحد .. شكرتها.. وغادرت المعمل .
الآن يمكننى أن أعرف الحقيقة ...
سأصاب بانهيار عصبى لو وجدت مكاتا خاويا فى
هذه الصور .. لكنى كذلك سأصاب بخيبة أمل لو لم أجد
هذا المكان ...
سأنتظر حتى أصل إلى البيت .. وحين أخلو بنفسى
هناك يمكننى فهم الموضوع برمته ..

* * *

٢ - لا مجال للمع ..

الجمعة ١١ يوليو (تابع) :
بيد ملهوفة رحت أتصفح الصور ..
يا للسخف ! .. كلها تظهر وجوهاً ضاحكة بلهاء
تتراص فى صفين .. الصف الأمامى جالس والصف
الخلفى واقف ، يحاول أفرادہ بأصابعهم أن يصنعوا
آذاناً لأفراد الصف الأمامى ..

كنت أعرف هذا ، وسمحت لنفسى به للأسف ..
ولعمري تلك هى مشكلة فن التصوير فى مصر ..
ما إن تصوب الكاميرا إلى مشهد طبيعى بارع الجمال
حتى تجد من يحشر نفسه حشراً فى الكادر ليرى كم هو
جميل .. وبعد ثانية يحتشد عشرات المتطفلين حوله ،
ليغدو موضوع الصورة أبعد ما يكون عما كنت تزمع !.

دعونا من هذه الملاحظات ...

آه ! .. ها هى ذى الصورة ...

فى لهفة أدرسها .. أقربها من عيني .. حسن ..

لا داعى لمزيد من القلق .. أنا أرى الفتى (الألبينو)
وزوجته الحسناء بوضوح تام من خلف كتف الطالب

إياه .. وأرى تلك النظرة فى عين الفتى إذ أدرك أننى
ألتقط الصورة ...

لقد كان د . (لوسيفر) يهرف بما لا يعلم إذن ..
هما مجرد زوجين طبيعيين يكرهان الفضوليين من
أمثالى .. وأنا الذى كدت أجن كى أرى هذه الصورة ! ..
لا داعى لمزيد من الهلع إذن ..
* * *

السبت ١٢ يوليو :

لا مفر من أن أقع فى شرك (التقليدية) من جديد ..
صحوت من النوم .. تناولت إفطاراً دسماً (أحاول أن
أزيد من وزنى بضعة كيلوجرامات بعد الإقلاع عن
التدخين) .. ذهبت إلى المستشفى .. عدت للبيت ..
طهوت لى نفسى غداً دسماً لى نفس الأسباب السابقة ..
نمت .. صحوت .. خرجت .. عدت .. سأنام بعد إنتهاء
هذه السطور إذن ..

(لا أدرى من أين يجىء أصحاب المذكرات بكل
الكلام الذى يكتبونه إلى حد أنهم يملئون مجلدات كاملة) .

* * *

الأحد ١٣ يوليو :

ناديت (مدحت) - أحد الطلبة عندى - وقدمت له



أنا أرى الفتى (الأليينو) وروجه الحساء بوضوح تام من خلف
كتف الطالب إياه ..

مجموعة الصور السخيفة التي التقطتها مع الفيلم .. ،
وطلبت منه أن يرفع عن عاتقى مهمة إعطاء كل
صاحب صورة صورته ..

كان (مدحت) شاباً نحيلاً عصبياً سريع الانفعال
والصراخ ، ممن يستعملون أذرعهم فى التعبير أكثر من
اللازم .. وهو كثير الحركة إلى حد أنك تجد قميصه
دوماً وقد أبى أن يبقى داخل سرواله .. وتشعر كأنما
هو خارج من مشاجرة دامية طويلة الوقت ..

إنه يذكرنى بشبابى إلى حد كبير ، ولعل هذا هو السبب
فى أننى أستريح إليه .. وأثق به أكثر من غيره ..
قال لى (مدحت) وهو يحاول ألا يرفع صوته :
- هل يسمح وقتك ببضع دقائق يا د . (رفعت) ؟

- فى الواقع يا (مدحت) .. أنا مشغول ..
حك رأسه فى توتر .. ثم بلل شفته السفلى بلسانه
وغمغم :

- ثمة شىء ما يضايقنى .. و

- إذن .. تعال لمكتبى غداً ..

وفارقه وأنا أعرف - بالتأكيد - نوعية ما يضايقه ..

إن (مدحت) هو نموذج لذلك الشاب الطموح المندفع

صاحب شهوة (إصلاح الكون) .. إذن من الطبيعى أن

يكون هناك دوماً شىء يضايقه ..

لقد اعتدت منه - مثلا - أن يجيء مكتبى ليقول لى
فى هستريا :

- سئمت الفقر والمرض !

كأتما - الأحمق - يتوقع أن عندى على مكتبى زرّين ..
زرّ خاص بمنع الفقر وزرّ خاص بمنع المرض .. وأن
شكواه لى ستدفعنى دفعا إلى ضغط الزرين فيزول الفقر
والمرض !..

أحيانا أخرى يفتحم المكتب هاتفا :

- تبا للحروب !

فأمدّ يدي باحثا عن زرّ (وقف الحروب) على
مكتبى ، لكنى لا أجد واحدا .. للأسف ..

إن موهبتى البارعة فى الإصاات قد جلبت على
الوبال .. وأعرف عشرات يحسبون مهمتى فى الحياة
هى الإصغاء لآلامهم وهو أجسهم .. لا أكثر ...

إن لى أن أتوقع أن (مدحت) يريدنى لشيء من
هذا القبيل على غرار (يسقط الاستعمار) أو (فلتحى
الإرادة الفيتنامية) أو أى شيء قد يتفتق عنه ذهنه ...

فى المساء :

بالمصادفة البحتة قابلت د . (محمد شاهين) ..
أستاذ (الأنثروبولوجى) العتيد البرىء كالأطفال .. ،

إن علاقتى بـ د . (محمد) تعود إلى ذلك اللقاء العاصف فى شقتى يوم كان يحسبنى آكل بشر .. ، بعدها التقينا مرات محدودة جداً كان آخرها ذلك اللقاء فى فيللا د . (سامى) ليلة راح كل منا يحكى خبراته مع الرعب .. ماذا كانت قصته هو ؟ .. لا أذكر بالضبط .. أعتقد أنه تحدث عن قط خائف بلا سبب .. وصديقه الشبيه بالشیطان .. ربما كان ذلك ... المهم ...

كان كلانا يشعر بالخواء والحاجة إلى رفيق .. ، فأتانا عزب قليل الأصدقاء ، وهو أرمل فى الآونة الأخيرة ، وقد أدركت من نحوله وشحوبه أن أموره ليست على مايرام .. ولا غرابة فى هذا .. فهو رجل يحتاج إلى زوجة عاقلة تمنعه من إيذاء نفسه أو ارتكاب حماقات تجلبها براءته القاتلة ..

جلسنا فى مقهى (الفيشاوى) .. العبق الساحر الذى لا يزول لحنى (الحسين) .. وذلك الحزن المرهف لليالئ الصيف ..

استنشقت هواء المساء .. وتسربت قشعريرة إلى جلدى .. ، أريد أن أبكى ولا أعرف سبباً لهذا .. لقد أعاد لى هذا الرجل ذكرى حاولت أن أتجاهلها طيلة الوقت حتى حسبتنى نسيته ...

لقد كانت (هويدا) موجودة في كل لحظة قابلته فيها !
كلا .. لم يكن حبًا .. بالتأكيد لم يكن كذلك .. لكنه
شعور دام يؤلمنى .. سمه الألفة .. سمه الاشتياق ..
سمه أى شىء .. ومن يدرى ؟ . لربما كان الأمر كله
حنينا إلى (رفعت إسماعيل) تلك الأيام التى لن تعود .
حول كوبين من الشاى الجيد جلسنا نثرثر ... قرقرة
الماء فى (الشيشة) التى يدخنها باحتراف حقيقى ..
وصراخ النادل .. وارتطام أحجار (الدومينو) ..
قال لى د. (محمد) وهو يضع المزيد من قطع الفحم
بالماسك :

- ما هى آخر أخبارك ؟

- خواء .. لا أكثر ..

- أنت اخترت هذا لنفسك .. لماذا لم تتزوج حين كان

سنتك مناسبة ؟ ثم استدرك .. وقال فى حرج :

- لازالت سنتك مناسبة .. أعنى أنها كانت مناسبة أكثر !

قلت وأنا أذيب مزيدًا من السكر فى الشاى :

- إتنى (هاملت) المصرى .. البطل بلا بطولة ..

أتكلم وأتكلم لكنى أخشى أن أفعل .. لم أزل أعتبر من

يقدمون على الزواج شجعانًا إلى حد غير عادى .. ثم

من هى البطلة التى تتحمل إنسانًا يقضى نصف يومه

فى القراءة .. ونصفه فى النوم .. ونصفه الثالث - إن كان له نصف ثالث - فى الاكتتاب ؟

- .. والنصف الرابع فى مواجهة الأشباح !..

ثم إنه قال لى وهو يجرع جرعه الأولى من الشاى :

- عندى لك عروس مناسبة .. فقط إذا كنت جاداً ..

تتأبىب .. وقلت فى تعاسة

- أنا متحمس .. لكن لا تبدو الحماسة على ملامحى .

- إذن نلتقى هنا غداً لترتب اللقاء ..

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

عندى اليوم موعدان يثيران فضولى إلى حد ما ..

الموعد الأول : مع (مدحت) الطالب المتحمس إياه .

الموعد الثانى : مع د. (محمد شاهين) ليلاً للحديث

عن زيجتى القادمة . وإليك ما حدث ...

فى العاشرة صباحاً كنت جالساً فى مكتبى منهمكاً فى

كتابة إحدى الأوراق العلمية ، حين سمعت من يقرع

الباب مستنذناً للدخول ..

رفعت عينى فوجدت (مدحت) على الباب .. وعلى

كتفه تتدلى حقيبة يد صغيرة ..

أشرت له أن ادخل ففعل .. أشرت له أن اجلس

فجلس ..

أشرت له أن تكلم سريعاً .. فتكلم ..

وكان ما قاله مثيراً للاهتمام :

- أنت تعرف يا د. (رفعت) أنني من هواة التصوير ..

ثمة شيء غير عادي لاحظته في تلك الرحلة التي قمنا

بها معك إلى القناطر قبل سفرك .. سقط القلم من يدي

ونظرت له بإمعان .. فأردف :

- كنت أشك في الأمر حتى رأيت صورك وصور

صديق آخر كان يحمل كاميرا هو الآخر ... هل تأملت

الصور بعناية !؟

ومد يده لي حاملاً مجموعة من الصور أخرجها من

الحقيبة .. فتناولتها منه دون أن أبعد عيني عن

عينيه ..

هل سيقول هذا الفتى شيئاً مما يجول بذهني ؟ ..

رحت أتصفح الصور دون كلمة .. لم أر ما يشير كل

هذا الوجع لديه .. كلها مماثلة لصوري أنا .. ذات

الوجوه الضاحكة في بلاهة ..

قلت له محاولاً أن يبدو صوتي هادئاً :

- ماذا تراه هنا ويشير ربيبتك ؟ ..

اتسعت عيناه وتناول صورة منها ليشير إلى شخص

يقف فيها :

- هذا هو (شريف السعدنى) .. وهو يتحدث إلى شخص ما .. ، وهذه الصورة .. يبدو فيها (ماهر) وهو يضع يده على كتف شخص ما .. ، أذكر هذه الصور جيداً لأننى لم ألتقطها بنفسى .. هناك صديق التقطها لنا ليظهرنى ضمن المجموعة ..

- إن هذا ليس مبرراً كافياً للذعر فيما أرى ..

- كلا .. أنت لا تفهمنى ..

وفى لهجة أثارت الرعب فى قلبى غمغم :

- أين أنت ؟ .. لا أجذك فى أية صورة برغم أن

(شريف) كان يحدثك .. و (ماهر) كان يضع يده

على كتفك أنت !!..

!.....

* * *

٢ - أين أنا ؟

الاثنين ١٤ يوليو [بقية] :

شعرت - كما هو متوقع - بالذهول ..

كان هذا آخر شيء أتوقع أن يقوله لى الفتى ..

إن ف د . (لوسيفر) لم يكن مخطئاً على طول

الخط .. ثمة شيء من صواب فيما قال .. لكنه أخطأ

بصدد الشخص ..!

كنت شاردًا فى كل هذا بينما الفتى يضيف :

- .. وحين رأيت صورتك أدركت أنه من المستحيل

أن أكون واهماً .. لأن صورتى وأنا أحمل الكاميرا

وأصوبها تجاهك واضحة فى عشر لقطات على الأقل ..

بمعنى أنه كان المفترض أن أجد بدورى عشر لقطات

تبدو أنت فيها حاملاً الكاميرا .. !

وابتلع ريقه :

- من المعتاد - عند وجود مصورين لذات الحدث -

أن يظهر كل منهما مراراً على فيلم الآخر ...

بللت شنتى بلساتى .. وتأملت الصور :

- هذا حق .. ولكن لا بد من تفسير ما ...

إذن كنت واهماً بصدد الزوجين ..
واحد فقط كان يستحق أن أبحث عنه فى الصور
بشك .. وهذا الواحد هو أنا ... ! ...

تساءل (مدحت) فى قلق :

- هل تملك تفسيراً لهذا يا د . (رفعت) ؟
- بالطبع لا أملك .. كل ما أعرفه هو أنتى لست شبيحاً !
قال وهو ينهض ويجمع صورته :
- أنا أعرف أن لديك خبرة بهذه الأمور .. لهذا ...
- أية أمور ؟! ..

شعر بأنه محرج .. وارتجفت يداه وهو يقول :
- هذه الأمور .. أعنى .. كان واجباً أن أنبهك ..
لربما هو داء عضال فى بدايته ... أو ...
قلت له فى جدية :

- اسمع .. أريد أن تبقى هذه الصور معى .. أريد
كذلك أن يظل هذا الموضوع سراً بيننا ..

- أنت تعرف أنك تستطيع الاعتماد على يا د . (رفعت) .

وكانت هذه هى بداية اليوم ... ! ..

ويا لها من بداية غير عادية ! ...

كان أول شىء فعلته بالطبع هو أن ذهبت لأتأكد من

أن وجهى موجود فى المرآة المعلقة فى الحمام ..

كل شيء كما هو .. ذات القبح والنحول والصلع
والحمد لله ..

ثم إننى تركت العمل مبكراً ، وهرعت إلى أحد
استديوهات التصوير حيث طلبت أن يصورنى من أجل
جواز السفر بضع صور ...

كنت متأنقاً فى هذا اليوم بشدة وهذا من حسن حظ
الصورة .. لكن المصور وقف خلف الكاميرا ، ودارى
رأسه بمنفاخها بعض الوقت .. توطئة لأن يبرز رأسه
من جديد ليقول فى كياسة :

- هل ترى أن نؤجل هذه الصورة بعض الوقت حتى
يكون مظهرك ملائماً !؟

عليك اللعنة ! .. إننى لفى أفضل حالاتى اليوم ..

- إنه ملائم بالفعل !

وهكذا التقط لى الرجل الصورة غير مقتنع ..

ودعائى أن أزوره غداً لأتسلمها ...

- وهل من طريقة لتسلمها الآن ؟ ..

- للأسف .. مستحيل (*)

هذا عن منتصف اليوم ..

(*) لا تنسوا أن الأحداث فى نهاية الستينات .. حين كاتت الصور

الفورية نوعاً من قصص الخيال العلمى ..

أما عن نهايته .. فقد ذهبت إلى (الفيشاوى) فى
المساء بحثًا عن د . (محمود شاهين) ..

كان جالسًا على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعًا
ساقًا على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه .. وصلعته
تلتمع بالعرق ..

فما إن رأيت حتى هس وبس .. وطلب لى فنجانًا من
القهوة ..

قلت له فى كياسه رأيت عن تدخين أستاذ جامعى
للشيشة .. فخلع منظاره السميك كاشفًا عن عينيه
الضيقتين المنهكتين . وقال :

- التدخين نفسه عادة همجية .. نوع من العريضة
الذاتية .. فإذا أنت رأيت رجلًا يحرق نفسه بموقد
الكيروسين بدلًا من موقد الغاز ، فلا تلمه إلا على
إحراق نفسه ...

- منطق لا بأس به ..

وأحضر النادل صينية عليها فنجان القهوة ..
فجرعت جرعة ماء حتى لا أصاب بالقرحة (فأنا لم أنق
طعامًا من ليلة أمس لأننى لم أجد عندى رغبة فى طهى
إفطار ولا غداء ..) ..

شرعت أحكى له بعض الأكاذيب مستمتعًا بأنه يصدق



كان جالساً على ذات المائدة يدخن الشيثة واضعاً ساقاً على
ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه ..

كل حرف مما أقول .. لولا البلهاء - كما قال (مارك
توين) - لما حقق الآخرون فى هذا العالم أى نجاح ...
وبعد نصف ساعة طلبت منه أن يحكى لى عن هذه
العروس .. قال لى :

- هى تدرس الفلسفة فى كليتنا ، وقد فاتها قطار
الزواج لأنها انهمكت فى عملها إلى حد أنها لم تسمع
صفرته إذ يرحل ..
صحت فى حنق :

- يا سلام !.. ولماذا أتزوج واحدة فاتها قطار الزو ..؟
رأيت عينيه المرهقتين تحدقان فى عيني .. وسمعته
يقول :

- لأنك شخت حقاً يا (رفعت) .. ألم تفهم هذا بعد ؟
يا للآلم !.. أبداً لن يفارقنى الشعور بأنى مازلت
طفلاً .. أصغر من كل هذه الكلمات الكبيرة .. وفى
لحظة احتضارى لن أشعر سوى بأنى طفل يموت ..
لقد شخت حقاً ..
قلت منهما مستسلماً .

- بلى .. أفهم .. حسن .. هل هى جميلة ؟
توقعت أن يقول : فاتنة .. وكان هذا سيثير قلقى ..
فأنا لا أتقى بذوقه البتة .. فهذا الغرير لا يعرف حتماً

معنى كلمة (جميل) .. لكنه أراحنى إذ مط شفته
السفلى .. وهزّ كفه بمعنى أن ...

- بين .. بين .

لا بأس .. إذن هناك أمل .. مادامت لم ترق له ..

- وماذا عن شخصيتها ..؟

- بين .. بين .

وعائلتها ؟ ..

- بين .. بين ..

- وهل هى على شىء من الرجولة ؟

- بين بين ... ماذا ؟ .. هل تمزح ؟

قلت وأنا أرشف القهوة :

- ظننت عتهاً أصابك فجعلك لا تردد إلا (بين بين) .

ثم وضعت الفئجان متسائلًا :

- ومتى وكيف أراها ؟

- تعالى إلى غداً فى تمام العاشرة صباحاً .. وسنجد

طريقة ..

وهكذا .. جلست أرمق الجالسين فى فضول .. وأدس

بذور اللبّ بين أسناتى .. غريب أنتى نسيت تمامًا

ما حدث صباح اليوم .. بالتأكيد هو مجرد كابوس أو

خطأ مُعِين .. سيتضح كل شىء لى غداً .. أما الآن

فلنحاول تسليّة د . (محمد) .. سألته فى إغراء :

- هل تلعب الطاولة ؟

- بالتأكيد ...

- أنا لا أعبها !...!

لا أدرى لماذا أشعر بأننى أستفزّ هذا الرجل !..!

الثلاثاء ١٥ يوليو :

عرجت على ستوديو التصوير فوجدته مازال مغلقا ..

إذن سنرى شأن هذه الصورة حينما نعود إلى الدار ..

وهرعت إلى كلية الآداب ، فوجدت د . (محمد

شاهين) جالسا مع اثنين من طلبة الدراسات العليا ،

يحدثهما عن تصوره لما ينبغى أن تكونه الـ ... المهم ..

دعونا من هذا ...

بعد أن انصرفا سألتنى عن سبب شحوبى .. هل هو

الحياء ؟ ..

- الواقع أن هناك ما يثير توترى هذه الأيام ..

ثم سألته مباشرة وبلا تمهيد :

- متى لا يظهر الإنسان فى الصور الفوتوغرافية ؟!

.. سؤال غريب حقا !

وتأمل الأوراق التى بين يديه .. ثم قال :

- قالوا لنا : إن الأشباح لا تظهر .. وكذلك لا يظهر

مصاصو الدماء ..

- ألا يوجد تفسير آخر ؟

- لو كان هناك واحد فأنا لا أعرفه .. ولكن لماذا

تسأل ؟

قلت وأنا أنهض وأشير إليه أن يحذو حذوى :

- إن من لا يظهر فى الصور الفوتوغرافية لهو

إنسان فى مأزق .. إذ كيف يستطيع هذا البائس أن

يظهر فى صورة العرس !؟

بدا الذهول على وجهه .. وظننت أنه يحاول أن يربط

الكلمات بعضها ببعض .. لكنه قال فى سذاجة :

- لا داعى لصورة العرس .. أنا لم آخذ صورة

عرس عندما تزوجت !

لن يفهمنى هذا الرجل أبداً ..

لن يعرف أبداً لحظات مزاحي من لحظات جدى ..

وذهبنا إلى قسم الفلسفة .. فياله من مكان محبط ! ..

كنت أتوقع أن أرى الفلاسفة الرواقيين جالسين على

درجات السلم .. وأن أجد من يمشى حاملاً فانوساً .. أو

أن أرى من يعيش فى برميل .. لكنه كان مكاناً عادياً

جداً .. مكاتب .. وسكرتيرة تطبع شيئاً ما على الآلة

الكاتبة .. وبعض طلبة يسألون عن ميعاد امتحان

التخلف .. و ...

- دكتورة (كاميليا) ؟

كانت هناك .. تدير ظهرها لنا وتلتقط كتاباً ما من فوق أحد الرفوف..

ولمحت شعراً كستنائياً قصيراً .. وتايوراً رمادي اللون .. ويذاً معروقة عصبية تتحرك هنا وهناك بحثاً عن صيد فلسفى جديد ..

شعرت بالهلع .. إنه كابوسى القديم .. سوف تستدير هذه المرأة لأكتشف أنها مسخ ذو أنياب .. أو أن لها رأس ذئب .. أو ..

لكن - لشدة الغرابة - رأيت وجهاً رقيقاً ..

كانت ترتدى منظاراً أنيقاً يرتفع فوقه حاجبان متحديان .. وكانت تضع كمية هائلة من مساحيق التجميل .. لا أدرى السبب فى وجود علاقة طردية بين قوة شخصية المرأة وبين حبها لتلطix سحنتها بهذه الأصباغ ، لتبدو كهندى أحمر من (الشيين) ذاهب لإحراق معسكر ...

وعلى الفور راح (الكمبيوتر) فى رأسى الأصلع يصنف ويفند .. ويضع هذه المرأة فى ملف من ملفات البشر التى أحتفظ بها ..

وكان الملف الذى دخلته د . (كاميليا) هو ملف

(المثقفة الهستيرية التي لا تهمد ، والمدافعة أبداً عن حرية المرأة) .. وهو ملف مناسب إلى أن أعرفها أكثر .

كانت (هويدا) موضوعة في ملف (أنثى بلهاء تبحث عن عريس ، ولا تقرأ سوى حظها في الصحف) .
وكانت (ماجى) موضوعة في ملف (الصديق الذكى اللطيف) .. وأنا نفسى موضوع فى ملف (المتشائم المكتئب الذى زاده الخوف من الكون تحولاً) .
ورأيت (كاميليا) تتقدم نحونا وعلى فمها ابتسامة متحفظة .. وهنا عرفت حقيقة مروعة ..

عندما تنوى ان تبدأ مشروع زواج لا تصطحب معك أحداً .. وبمعنى أفضل .. لا تصطحب د. (محمد شاهين) بالذات .. إن هذا الرجل لفضيحة تمشى على قدمين ..
لقد راح يعرفنى بالدكتورة (كاميليا) وعلى وجهه ابتسامة خبيثة .. وراح يقول كلاماً واضح المغزى ..
ويغمز بكلتا عينيه .. و .. و .. حتى إننى تمنيت لو تحولت يدي إلى قذيفة نووية أدسها فى فمه ليخرس إلى الأبد ...

قالت لى بصوت رجولى قليلاً :

- فهمت أن سيادتك من المهتمين بالفلسفة ..

وقبل أن أرددَ صاح د . (محمد) فى حماس ، واللعب
يتطاير من شذقه :

— جداً .. جداً .. إن د . (رفعت) فيلسوف عالى
المستوى .. إنه يتفلسف فى كل مكان .. فى الشارع ..
فى العمل .. فى الفراش .. فى دورة المياه .. إن هذا
الرجل هو — ما شاء الله — (أرسطو) مصر !
قالت فى رزاة :

— عظيم ! .. سيكون من دواعى سرورى أن أتبادل
الحديث معك . ولكن ليكن ذلك فى وقت آخر .. حيث إن
ظروفى ...

ونظرت إلى ساعتها .. ، فهززت رأسى بمعنى أننى
أقدر وأفهم .. ووليت الأدبار مع د . (محمد) ...
سألنى ونحن عائدان عما يجول بخاطرى ...
— لا أدرى — قلت له — لا أعتقد أنها تناسبنى أو أننى
أناسبها ..

— هو مجرد انطباع .. تعال غداً بدونى وجاذبها
أطراف الحديث ..

وهكذا ... تم تأجيل الحكم فى قضية زواجى ..

الآن جاء وقت العودة لدارى ..

عرجت على ستوديو التصوير لأخذ صورى .. ، قال

لى المدير فى حيرة : إنه آسف على الخطأ غير
المقصود الذى حدث ..
- أى خطأ ؟!

- صورتك يا سيدى .. لم تلتقط .. وجدنا (النيجاتيف)
خالياً من وجهك الكريم .. وبرغم هذا كان المنظر
الخلفى موجوداً بكل تفاصيله .. لا بد أن خطأ ما قد حدث ..
ولكن .. يخيل لى أنك ترتجف يا سيدى .. ترتجف ! ..
فما هو السبب فى هذا ؟!

.....

* * *

٤ - البحث عن سبب ..

الثلاثاء ١٦ يوليو :

انقطعت علاقتى بالعالم الخارجى ...

كان الذعر الذى عصف بعالمى يفوق الوصف ...
إنن فالموضوع حق لا مزاح فيه ولا مبالغة ولا سوء
تفاهم ..

إن شيئاً ما شريراً يحدث لى ...

هرعت إلى المستشفى باحثاً عن د. (رأفت) زميلى ..
وهو رجل صموت كالقبر .. أتق بكفاءته تماماً ..
حكيت له ما كان بصدد الصورة .. فبدا غير مصدق .
- لا توجد سابقة علمية تحكى عن شىء كهذا ..

- إذن فما هو التفسير .. ؟

- خطأ بسيط .. ظن ذلك الطالب أنه التقط صورتك
ولم يكن هذا صحيحاً .. أما المصور فكان شارد الذهن
حين التقط صورة لم تكن أنت قد جلست أمامه فيها .
- يبدو لى هذا مبالغاً فى الاستنباط ..

- لكنه الحل الوحيد ..

ووضع يده على كتفى فى رفق .. وقال :

— أنا أسمع الكثير عن هوايتك للأموال الخوارقية
والأشباح والبيوت المسكونة .. أسمع الكثير فأصدق
ما أصدق وأكذب ما أكذب .. لكنى أعرف شيئاً واحداً ..
إن هذه الهواية ستدمر السور الفاصل ما بين الحقيقة
والوهم فى عقلك الباطن ..

— هل تعنى ؟ ...

— نعم .. كفّ عن لعب دور (صائد الأشباح) قليلاً ..
وفكر خطيب ..

نظرت إلى عينيه مناشداً :

— هلا أجريت كل الفحوص الممكنة لى ؟ .. أريد
التيقن من أن شيئاً ما لم يصبنى ..
— وما هى التحاليل الخاصة بمرض (التلاشى
الفوتوغرافى) هذا ؟

— لا أدرى ..

تنهد فى صبر .. وغمغم :

— سنقوم بتجربة كل شىء إذن ...

* * *

وهكذا تحول (رفعت إسماعيل) إلى فأر تجارب ..
أخذوا منى دماً يوازى ما سال فى معركة (حطين) من
دماء .. رسم قلب .. رسم مخ .. فحص لقاع العين ..

عينات من كل سوائل جسمى .. والنتيجة : لا شىء ..
إذا ما تغاضينا عن تصلب الشرايين المبكر ، وانسداد
الشريان التاجى الرئيسى ، وتحلل شبكية العين ،
والربو ، والتهاب البروستاتا .. يمكن القول إننى
بصحة ممتازة .. وإن جسدى يعمل كما كان دائماً .. إلا
أن الجزء الردىء من القصة بدأ حين وقفت لالتقاط
صورة بأشعة (رونتجن) لصدري ... وكانت النتيجة
هى أن الفنى عاد بوجه ممتقع ليصارحنى :

- ثمة خطأ ما .. الفيلم لا يظهر شيئاً على الإطلاق !

- تعنى أن رئتى سليمتان؟

- بل أعنى أنه لا توجد رئة على الإطلاق ! .. لا يوجد

شىء !

هذه هى الضربة القاصمة إذن ...

الخطأ لا يتكرر ثلاث مرات من أشخاص مختلفين ...

ماذا قد حدث لى ؟ ...

لا أفهم .. ولن أفهم قبل أن أهدأ قليلاً ..

* * *

الأربعاء ١٧ يوليو :

لم يحدث لى شىء غير عادى .. وهذا فى حد ذاته

أمر مثير يستحق ان اخبئه فى مذكراتى ...

الخميس ١٨ يوليو :

عشرة أيام على بدء كتابتي مذاكراتي .. يبدو أنني
سأواظب على هذا العمل الأحمق فترة أكثر مما توقعت .
نتائج الفحوص التي أجريتها تتوالى ، وكلها طبيعية ..
لا يمكن القول إنني أعاني مرضاً عضالاً معيناً ..
سألت (رأفت) عن رأيه في كل هذا .. فحك رأسه
وقال .

- الحق أنني لا أدري ..

ثم ابتسم ونظر لى نظرة لا أفهم معناها :

- ما هي المشكلة في كون صورتك لا تظهر على
الأفلام ؟ .. ألا ترى معنى أن هذا في صالح القيم
الجمالية على كل حال !؟

صعد الدم إلى رأسي :

- يا سلام ! .. تريد أن أطمئن إلى ظاهرة مغايرة
لكل قوانين الطبيعة .. والكارثة هي أنني محور هذه
الظاهرة !..!

- لكنك بصحة طيبة عموماً ..

ثم تنهد .. وقال في ملل :

- حسن .. هل ترى أن نستشير أحد المختصين بعلم
البصريات ؟

- أفضل أن يظل الأمر فيما بيننا حتى أجد تفسيراً ..
و حين عدت لدارى ، رحمت أحاول أن أضع تصوراً
لما حدث لى ..

أسكت بورقة وقلم ودونت أفكارى :
أولاً : يوجد سبب ما يمنع انعكاس صورتى على
الأفلام .

ثانياً : هذا السبب قد يكون فيزيائياً أو ميتافيزيقياً .
ثالثاً : الأسباب الفيزيائية هى : تغير معامل انكسار
خلاياى .. أو امتصاص جسدى لأشعة الضوء .
رابعاً : هذا التغير الفيزيائى غير المسبوق ، قد ينجم
فرضاً عن تعرضى لإشعاعات معينة .

خامساً : السبب الميتافيزيقى لا يمكن التكهن به ..
ولكن .. ما هو سياق حياتى فى الفترة الماضية ؟
هل تعرضت لإشعاعات أو مؤثرات غير عادية ؟
يمكن القول إن آخر صورة رأيت فيها نفسى التقطت
فى (سويسرا) حين حلمت بذلك الحلم الكابوسى عن
الغرباء ..

بعد هذا واجهت جلسة تحضير أرواح فى دار (سام
كولبى) النصاب اليهودى ، وضعت فى عوالم (إدجار
آلان بو) .



وحین عدت لداری ، رحمت احوال ان اضع تصورًا لما حدث لی ..
أمسکت بورقة وقلم ودونت أفكاری ..

وبعدها حضرت جلسة (التاروت) مع د . (لوسيفر) .
إن فلو كنت قد تعرضت لمؤثر ما .. فهذا لم يحدث
إلا مع (كولبى) أو (لوسيفر) ...
طبعاً لا داعى لأن أضيف أنتى لا أحلم فى هذه
اللحظات .. وإلا كان الحلم تفسيراً مريحاً جاهزاً ...
إن رأسى يوشك على الانفجار ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو :

كوابيس شنيعة تطاردنى طيلة ليلة أمس ...
تارة أجدنى فى كهف مظلم وسط حشد من الشياطين ،
يقومون بتنصيبى رئيساً لهم .. وهو شرف لا أرحب به
على الإطلاق .

وتارة أخرى أنا كائن شفاف كف عن أن يكون مادياً ..
وأبدأ فى التساؤل بقلق : هل هذا هو الموت !!؟
وأنا يا رفاق أخشى الموت كثيراً .. ولست من هؤلاء
المدعين الذين يرددون فى فخر طفولى : نحن لا نهاب
الموت .. كيف لا أهاب الموت وأنا غير مستعد
لمواجهة خالقى !!؟ .. إن من لا يخشى الموت هو أحق
أو واهن الإيمان .. وكفأتى أن (عمر بن الخطاب) -
رضى الله عنه - أعلن أنه يخشى الموت كثيراً .. فأين
نحن منه ؟ ..

لهذا يمكنكم تصوّر شعورى وأنا أحلم بأننى توفيت
حقاً ! ..

أصحو من النوم غارقاً فى العرق البارد ، فأدخل
الحمام .. وأتأمل وجهى المنتفخ المرهق فى المرآة ...
وهنا أتذكر شيئاً نسيته تماماً .. لماذا لم أعد لمقابلة
د . (كاميليا) ؟ ..

كان النسيان قد حاصرني فى ركنه الضيق المظلم منذ
أيام ... فلم يعد عندي متسع للتفكير فيها ...
وقبل أن أتخذ قراراً دق جرس الهاتف ..
هرعت لأردّ وأنا - كالعادة - أتوقع مصيبة ..
سمعت صوت امرأة خشناً كالرجال يسألنى :
- د . (رفعت) ؟

-

- هذه أنا .. (كاميليا) !..

- (كاميليا) من ؟

- هل نسيت ؟ .. قسم الفلسفة .. يوم الثلاثاء الماضى .

يالها من مصادفة ! .. وكيف عرفت هذه السيدة

- أعنى الأنسة - رقم هاتفى ؟ .. وكيف جرئت على ..

- .. مرحباً يا دكتورة .. أنا .. أنا ...

- لم نرك ثانية لاستكمال حديثنا الذي لم يبدأ ..
 رأيت أن أتخذ أنا الخطوة الأولى ..
 - و ... ورقم هاتفى ؟
 - أعطانيه د . (محمد شاهين) .. كنت أعرف أننى
 واجدة إياك صباح الجمعة حتماً ..
 - ب .. ب .. برافوا !
 سألتنى فى لهجة عملية :
 - ما هو برنامجك اليوم ؟
 - ب .. برنامجى ؟ .. سأطهو طعام الغداء وأصلى
 الجمعة ثم أعود لأكله .. وبعد ذلك ...
 - حسن .. نلتقى فى السابعة مساء عند ...
 وذكرت اسم إحدى الكافيتيريات .. ثم ودعتنى دون أن
 تترك لى فرصة الاعتراض ، وأنهت المكالمة ..
 شعرت أن اللترات الخمسة من الدم الموجودة فى
 عروقى ، قد احتشدت كلها فى رأسى .. واحتشد لتران
 منها فى أذنى ...
 هل حقاً سمعت ما سمعته ؟ ..
 لقد عرفت كثيرات بدءاً بفلاحات قريتى وانتهاءً ببناات
 الأسر العريقة المتحذلقات فى (إنجلترا) .. لكنى لم أر
 قط هذه الجرأة الوقحة .. التى أثارت حفيظة فلاح
 (الشرقية) الرابض فى أعماقى ...

وقلت لنفسي : إن هذه العانس تحاول ان تطبق
قيودها حول الأحمق الذى جاءها يسعى طالبًا الزواج
منها .. هذا هو التفسير الوحيد ..

إلا أننى - فى تمام السادسة مساء - وجدت نفسى
أرتدى البدلة الكحلية التى تجعلنى فاتنًا (وهذا رأى
الخاص طبعًا) .. ورباط العنق الذى اشتريته من
(نيويورك) .. وقمت بتمشيط الشعر الأشيب على
جانبي رأسى بعناية .. لماذا أفعل ذلك ؟ .. يا له من
سؤال !

وفى تمام السابعة دخلت إلى الكافتريا أبحث عنها ...
وكانت جالسة فى ركن القاعة إلى احدى الموائد ..
تتابع الموسيقى القادمة من مكان ما بحركات انسيابية
من يدها ...

الذى آثار هلعى أكثر من غيره هو أنها تمسك بين
أناملها لفافة تبغ ! .. أبدأ لن أبتلع فكرة الأنثى المدخنة
مهما اتسعت نظرتى لتحوى الكون ذاته ..

يجب أن أفر .. يجب ..

لكنى لم أفعل ...

مشيت نحوها وحييتها بهزة من رأسى وجلست ...
قالت بالإنجليزية : إننى دقيق فى مواعيدى ، ثم
قدمت لى علبة سجائرها .. فهزرت رأسى أن لا ...

- غريب هذا ..!!.. قالوا : إنك تدخن كمحرقه الجثث .
- كنت .. أحاول أن أموت بسبب آخر غير هذا ..
وعلى كل حال .. من الذين قالوا لك ؟
- كثيرون .. إننى أعرف عنك أشياء عديدة ..
جاء النادل يرمقنا بشك ، وعلى ثغره بسمة خبيثة ..
فطلبت قدحاً من الليمون ، ثم تذكرت أننى يجب أن
أكون سخياً هذه الليلة .. فطلبت قدحين ..
وبدأت (كاميليا) تتكلم ..
ولم يكن كلامها غيباً أو مملاً بحال .. فهى تعرف
ما تتكلم عنه ..

تحدثت عن الفلسفة وعن دورها فى الحياة ، وعن
ثقافة المرأة ونظرة المجتمع إلى استقلاليتها .. ، وعن
تخلف الفكر الذى يرفض مشاركتها الرجل فى كل شىء ..
ثم سألتنى :

- هل تحب الفلسفة ؟

درت بعينى أتأمل الموائد حولنا .. ثم قلت بحذر :
- أعتقد أنها (فن إضاعة الحياة) .. الحديث عن
القيثارة بدلاً من العزف عليها ..
- إن ما تقوله لهو نوع من الفلسفة ..
- ربما .. لكنى لست فخوراً بذلك ..
برغم كل شىء كنت أشعر بعدم راحة لجلوسى معها ..

لم أمل طيلة حياتى لهذا النمط من النساء المتحديات
المستفزات اللواتى يملكن نوعاً من الرجولة لا تخطئه
العين ..

قالت لى وهى تشعل لفافة أخرى :

- أردت أن أقول لك : إنك لم تعد التعامل مع عقل
امرأة .. وأنا ساكون عقلاً صديقاً لك .. أعرف أنك
تتعامل مع الخوارق بكثرة .. ولسوف تحتاج إلى من
يفكر معك ويحلل معك ويفند معك .. دع هذا الدور لى ..
- هل تهتمين بهذه الأمور حقاً ؟

- حتماً .. ولهذا حرصت على الظفر بصداقتك ..

هل هى جادة ؟ .. إذن فالأمر لا يتعلق بالزواج ..
إنها تلعب معى دور الصديق الذكر الذى سيعيننى فى
حل مشاكلى ..

وكأنما عرفت ما يدور بذهنى ، قالت محذرة :

- لكنى أنذرك .. إن لقاءنا لقاء عقليين .. فإذا حاولت
أن تلعب دور فائن النساء معى ؛ فإن هذه ستكون نهاية
صداقتنا ..

صديق ؟ .. يا له من عرض مغر .. ! .. أنا أحتاج
الآن إلى صديق أكثر مما أحتاج إلى زوجة .. لماذا
لا أجرب هذا العقل الآن وأصارحها بمشكلتى التى تبدو
بلا حل ! ..

رشفة جرعة من الليمون ، ورحلت أحكى لها قصتى
مع الصور الفوتوغرافية .. بينما هى تصغى لى ..
عينها الرماديتان لا تطرفان إذ تحدقان فى عيني بثبات
خلف زجاج منظارها ..

- وهكذا ترين أننى لا أملك أى تفسير لهذا ..
ساد الصمت برهة .. وكادت تفتح فاهها لولا أن
سبقتها قائلاً

- .. ولا تقولى إننى (وهم) كعادة الفلاسفة .. فأتنا
لن أفهم هذا السخف ما حييت ...
ابتسمت بثقة .. وغمغمت

- قصة غريبة حقاً .. لكن دعنا نتحدث بصيغة
فلسفية .. أنت ترانى بمواصفات معينة .. غيرك يرانى
بمواصفات أخرى .. ، من هو المحق ومن المخطئ ؟ ..
من أنا حقاً ؟ .. هل تفهم ما أريد قوله ؟

- لا ...

- أعنى أن ما رأيته الكاميرا هو حقيقتك ..

- تعنين أننى شفاف دون أن أبدو كذلك ؟

قالت وهى تدفن نفاقة التبغ فى المطفأة :

- أعنى أنك تتحول تدريجياً إلى شبح ياد . (رفعت) .

.....

* * *

٥ - عدوّ الشمس ..

السبت ٢٠ يوليو :

صحوت من نومي ، فنهضت لأفتح خصاص النافذة .
وبدلاً من أن ينسكب ضوء شمس الصيف البهيج
ليفترش الغرفة ، شعرت أن دلواً من حمض (الكبريتيك)
قد انسكب فوق جسدي كله - ملايين الإبر الدقيقة
تتغرس في لحمي ...

ماذا أصاب الشمس ؟ .. ماذا حدث ؟ ..

أغلقت النافذة بإحكام ، وهرعت إلى الداخل ..

وأمام المرآة تأملت وجهي ..

لا مجال للشك ! .. إن حروقاً صغيرة من الدرجة
الأولى تنتشر على جلدي ، وتحيط العينين وركني الفم ..

ماذا دهاني وأنا نائم ؟

هل أصبت بحساسية مفرطة تجاه الشمس ؟ .. أم

أصبت بالبورفريا ؟

أم .. ماذا أقول ؟ ...

كدت أحاول ثانية لكنني أشفقت على وجهي من مزيد

من الألم .. طفقت أدهن وجهي بالجلسرين .. ثم هرعت

إلى الهاتف ، وطلبت د. (رأفت) فى داره ..

- هذا أنا .. (رفعت) ..

- أرجو أن تكون فى مصيبة تبرر إيقاظى قبل
موعدى بساعة .

- بالفعل .. لقد أصبت بحساسية مفرطة تجاه ضوء
الشمس .. ولن يكون باستطاعتى الخروج للعمل ..
إننى

وارتجف صوتى على الرغم منى :

- (رأفت) .. ماذا يحدث لى ؟ .. أنا خائف !

قال فى توتر :

- يا للهول ! .. سأكون عندك حالاً يا (رفعت) ..
فلا تخش شيئاً .. ووضع السماعه ..
بعد نصف ساعة كان فى دارى ..

شرع يتفحص الحروق فى وجهى باهتمام بالغ ..
وازدادت تجاعيد وجهه عمقا وجدية ...
ثم إنه قال وهو يجلس على الأريكة :
- هذا غريب !

فى حنق صحت :

- هل هذا هو كل ما تستطيع تقديمه لى ؟
وضع ساقاً فوق ساق ، وغمغم وهو يعقد ذراعيه
على صدره :

- دعنا نتعقل قليلاً .. أريد أن تحكى لى كل شىء من جديد ..

..... -

* * *

... وهذا هو كل شىء ..

قال وهو ينقل ساقيه :

- لاحظت أنك تجاهلت الطالبين - الزوج والزوجة -

تماماً .. ونسيت كل شىء عنهما .. أرى أن نعيد البحث عن حقيقتهما من جديد ، فلربما كانت لهما علاقة بالموضوع ..

- يمكن أن يساعدك (مدحت) فى ذلك .. هل تعرفه ؟

ذلك الطالب المعتوه بالفرقة الرابعة .. إنها زميلاه ..
أما فيما يتعلق بى .. فما هو رأيك بالضبط .. ؟
نهض متثاقلاً .. وغمغم :

- الأمر يتلخص فى حساسية ضوء شديدة .. لقد

رأيت أسوأ منها .

- فى ليلة واحدة !؟

- ما أكثر ما يجهله الأطباء ..

ثم تمنى لى حظاً سعيداً ، وواعد بأن يفعل ما يراه

صواباً .. وتركنى وانصرف ..

يا للهول !.. لا أريد أن أكون وحيداً .. يحرقنى
الإحساس المرير بأن هذه مشكلتى أنا فقط .. أتعذب
وحدى .. أجن وحدى .. بينما يعود كل واحد إلى داره
مسروراً ، يحمد الله على أنه ليس أنا ... أريد آخرين
بأى ثمن ... !

* * *

أمام المرآه عدت أتأمل وجهى ...
هو نفس الوجه الذى اعتدت أن أراه أربعين عاماً ..
ولكن ما سرّ التغير الذى طرأ لخلاياه ؟ ..
ما سرّ هذا التبدل فى خواص ذاتى ؟ ..

* * *

عدت أطالع قصة (الرجل الخفى) تحفة (ولز)
الخالدة ... أعرف أننى لست خفياً .. لكنى كذلك بالنسبة
للعدسات .. يا لها من قصة ملهمة !..

فى هذه القصة تمكن ذلك الطبيب البارع من تبديل
معامل انكسار خلايا جسده ، لتصير مماثلة للهواء ..
بالتالى صار شفافاً مثله مثل قضيب الزجاج المغمور
فى الماء .. والحقيقة أن هذا الرجل الخفى - الذى كاد
يحكم العالم فى القصة - كان أعمى !.. نعم أعمى ..
لأنه لا يملك خلايا سوداء فى شبكية عينه ، ولقد ارتكب

(ولز) هذا الخطأ الجسيم فى غمار انبهاره بطرافة
المحتوى الأدبى للقصة ..

مشكلتى أنا تختلف ...

إن الكل يروننى .. لكن أفلام التصوير لا تستطيع ..
فلو كان معامل انكسارى قد تغير - مثل بطل (ولز) -
لصرت خفياً تماماً حتى ولو صرت أعمى .. ولما رآنى
أحد .

إذن معامل انكسارى كما هو ..

وجودى هو الذى تغير ..

أنا وهم يحسب الآخرون أنهم يرونه ..

أنا شبح يخدع الجميع ولكنه لا يخدع الكاميرا ..
فإذا أضفنا إلى هذا كله ما طرأ من حساسيتى لضوء
الشمس ، لقلت : إننى أتحوّل إلى مسخ حقيقى .. شىء
قريب من مصاصى الدماء أو ما هو أسوأ ..

لماذا يحدث لى هذا أنا بالذات ؟ ..

* * *

بعد الظهر تلقيت مكالمة هاتفية من (صديقى)
الجديد ..

- هاللو ! .. (رفعت) ؟ .. أنا (كاميليا) ..

- ليس صعباً أن تعرفى أننى (رفعت) .. فلا أحد

سواى يعيش هنا .. وليس عسيراً أن أعرف أنك

(كاميليا) .. فأنا لا أتلقى مكالمات أنثوية بتاتاً ..

- يسرنى أنك لا تحاول لعب دور (دون جوان) ..

- (دون جوان) ؟ .. بمظهرى وحالتى الصحية ؟ ..

أنا لا أملك مزاجاً يسمح بالمزاح ..

- حسن .. ما هو برنامجك لهذه الليلة ؟

- لا برنامج ..

ضربت لى موعداً للقاء ، وكالعادة أغلقت السماعة

قبل أن أتصل أو أنتحل أذاراً ...

لم لا أذهب للموعد ؟ .. أريد أن أرى الشارع وأسمع

صوت الناس يتشاجرون ويصخبون .. سيكون الموعد

ليلاً ولن تضايقتى أشعة الشمس بالتأكيد ...

وهكذا ...

تجدوننى جالساً معها فى كافتريا أخرى ، أرشف

القهوة وأحكى لها عن الذى أصابنى اليوم ..

لم أعد بحاجة إلى الخيال كى أعرف مشاعر مصاص

الدماء ، الذى لا يخرج إلا مع انسداد الظلام ، ولا يعود

لداره إلا حين ينذر الفجر بالبروغ ..

قلت لها :

- قلت بالأمس : إننى أتحول إلى شبح .. ما هو فى

رأيك سبب هذا ؟

- ربما لأنك فقدت علة وجودك ..

اللجنة على كل هذا الهراء! .. لا أمقت شيئاً قدر أن أجد
نفسى وسط متاهات لفظية لا تنتهى .. على الأقل أنا
وأتق من أننى لم أمت بعد .. وروحي تهيم .. تهيم؟! .
سألتها فى قلق :

- سمعت أن المتوفين يظلون فترة لا بأس بها
يمارسون حياتهم العادية ، غير مصدقين أنهم ماتوا ،
وأن الآخرين لا يرونهم .

نفتت دخان لفافة تبغها فى وجهى وقالت :

- تعنى أنك كذلك ؟

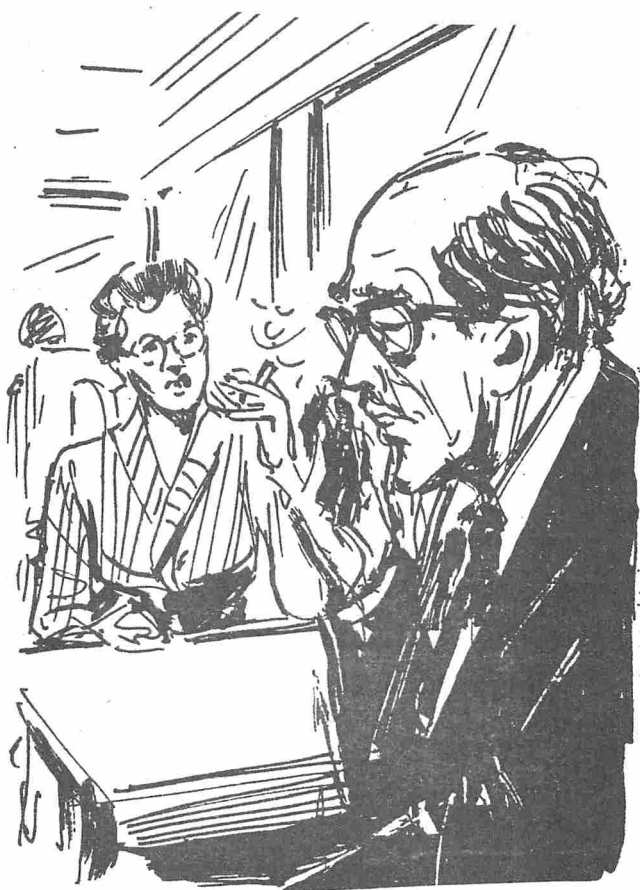
- ربما ...

- هذا هراء .. لا تصدق أى حرف عن الموت مما
يقوله العامة .. ، مادام أحد لم يعد من هناك ليحكى
ما رآه ، فكل هذه تكهنات .. ، كل ما أعرفه أنا هو أنك
تنبض بالحياة أمامى .. أراك .. وأسمع صوت لهائك .. ،
صدقنى فى أن هناك تفسيراً أكثر منطقية ..

- وما هو ؟

- لا أدرى .. لكننى سأعرفه فيما بعد ...

* * *



نفث دخان لفافة تبغها في وجهي وقالت :

— تعني أنك كذلك؟ ..

كانت ليلة أسود من كل الليالي السوداء فى
 حياتى محتشدة .. لم أعد بحاجة لرؤية الكوابيس فى
 أثناء نومي ، لأن حياتى ذاتها صارت كابوساً متصللاً ..
 إلا أننى - فليحي التفاؤل - نهضت لأفتح النافذة ، أملاً
 فى أن يكون ما حدث أمس وهماً أو حالة عارضة ! ..
 أى يى ! .. إنه لعذاب لا يوصف ! .. فى هذه
 المرة شعرت إن جسدى كله يغوص فى فوهة بركان
 امتلأت بالحمم ..

ألقي بى الألم فوق الفراش .. ثم تحاملت على نفسى
 فتدثرت بالبطانية ، ونهضت لأغلق بوابة الجحيم هذه ..
 ترررررررررر ! ..

الهاتف من جديد .. إن تلقى ثلاث مكالمات فى
 أسبوع لشئء يفوق طاقتى على الاحتمال .. يوشك هذا
 البيت أن يتحول إلى (سنترال) مركزى . ذهبت لأرد
 وأنا أعالج بيدي اليسرى كل تلك القشور التى انتثرت
 فوق وجهى ، وعلى ساعدى الأيمن ..

صوت د . (رأفت) الوقور :

- (رفعت) ؟ .. أهذا أنت ؟

- لو كان سواى فالبيت مسكون .. و ...

- دعك من السخرية .. وقل لى .. بخصوص هذين
الطالبين المتزوجين اللذين تحدثت عنهما .. قلت لى فى
أية فرقة ؟

- الثالثة على ما أظن ..

- حسن .. (مدحت) لا يعرفهما .. لا أحد يعرفهما
فى الكلية بأسرها .. بل يؤكد الجميع أن شخصين بهذه
المواصفات لم يكونا فى رحلة القناطر .. لابد أن هنالك
خطأ ما ...

ولكن .. خطأ .. مستحيل !

هل فقد الجميع عقولهم ؟

ربما أننى قد جننت أو فى طريقى إلى ذلك ..

والدكتور (رافت) لم يزل يتكلم

* * *

الأحد ٢١ يوليو [بقية] :

لن أطيل وصف حالة انعدام الوزن التي شعرت بها ،
بعد هذه المكالمة اللعينة .. أنت تفهم ما أريد قوله دون
أن أتعب نفسي ..

لقد رأيت هذين الزوجين بعينى ..

سألت عنهما .. سألت كثيرين - و (مدحت) من بينهم -

ف قيل لى : إنهما زوجان حديثا الظهور فى الكلية ..
بل والتقطت لهما صورة ..

كيف ينكر الجميع الآن وجود هذين ؟ .. هناك
مؤامرة عامة لجعلى أفقد عقلى ، أو ربما أنا فقدته
بالفعل ..!؟ ..

ولكن ... الصورة ! ..

هذا حق .. الصورة التى التقطتها عندى ، وفيها

يبدو وجههما كأوضح ما يكون ...

هذه الصورة دليل لا يُدحض على صدق ما رآته

عيناي وسمعته أذناى ...

هرعت إلى الخزانة ، وشرعت أبحث فيها حتى

وجدت مجموعة الصور .. شرعت أفتش بلهفة حتى
وجدت الصورة ..

الحمد لله ! .. الآن أرى وجهيهما .. كنت سأنتحر
حتمًا - بعد أن أفقد عقلى - لو لم أجدهما فيها ، أو لم
أجد الصورة أساسًا ..

إذن أنا محاط بمجموعة من الكاذبين ..

إلا أن شيئًا من القلق ظل يخامرنى .. ذلك النوع من
القلق الذى يدفع المرء دفعًا إلى أن يخرج من شقته
(لحسن الحظ أن مدخل الشقة معتم خال من الضوء) ..
يتجه بخطى ثابتة إلى شقة جاره (عزت) .. يقرع
الجرس ..

ينفتح الباب عن وجه (عزت) الكئيب الشبيه
بمرضى الفشل الكلوى المتقدم .. ، مازال هو هو فيما
عدا خصلة صغيرة من الشعر نابثة فى أسفل ذقنه ..
يحاول بها أن يبدو عبقرياً شاذًا ..

كان بعدُ نائمًا كما هو واضح ، وأدركت أنه مازال
وطواطًا آدميًا .. بومة بشرية تصحو ليلاً وتغفو نهارًا .

- (رفعت) .. ألا تنام أبدًا ؟

- وأنت لا تصحو أبدًا .. أريد أن أسألك عن شيء ..
ودسست الصورة تحت أنفه .. وقلت :
- صف لى ما تراه هنا ...

قرب الصورة من عينيه .. وتتأعب .. ثم غمغم :
- أرى كتفاً .. ثم .. ها آ آ آه !.. ثم حديقة .. هل هذه
الصورة ملتقطة في الإسكندرية ؟ ربما (أنطونيادس) ؟ ..
ولكن .. لا .. على كل حال ما أهمية الكتف الذى
يوقظنى فجراً بهذا الشكل ؟

تساءلت فى إلحاح :

- فقط ترى كتفاً ؟ .. أين الفتى والفتاة فى هذه

الصورة ؟

أعاد التأمل ثم غمغم :

- هل هى أحجية ؟ .. لا يوجد فتى وفتاة هنا .. !
انتزعت منه الصورة دون كلمة أخرى .. واستدرت
عائداً إلى شقتى .. متجاهلاً صوته الذى وصل لمسمعى
يردد :

- هذا الرجل ليس على ما يُرام ..

نعم .. أنا هو هذا الرجل ..

فما إن أغلقت الباب على نفسى ، حتى رحت أردد

أننى لا ينبغي أن أجن .. لا يجب أن أفقد صوابى ..

أولاً : اختفيت أنا تماماً من الصور بشهادة الجميع .

ثانياً : اختفى الزوجان تماماً عن الجميع عداى ،

ولا يزعم أحد أنه رآهما أساساً ..

* * *

رب قبح عند (زيد)
هو حسن عند (بكر)
فهما ضدان فيه ..
وهو وهم عند (عمرو)
فمن الصادق فيما يدعيه ؟ .. ليست شعري ..
ولماذا ليس للحس قياس ؟ ..
... لست أدري ...

(إيليا أبو ماضي - الطلاس)

* * *

صدقت يا صاحب (الطلاس) ..
أنا أفهم الآن هذه الحيرة الملتاعة .. عدم الفهم لما
هو صواب وما هو خطأ .. هل أنا أهذى أم الآخرون
يهزون ؟ لعلمهم يكذبون .. ولكن ما مصلحتهم في
الكذب ؟ ولماذا يجمعون عليه ؟ .. لا داعي لإضاعة
وقتي في سؤال آخرين عن هذه الصورة .. فأنا أدرك
في أعماق أعماقي أنهم سيقولون الشيء ذاته : لا نرى
أحدًا في الصورة ..

ولكن لماذا أرهق نفسي بحثًا عن تفسير ؟ ..
ما الضرر - حقًا - من أن أرى الزوجين أو لا أراهما ؟
وما الضرر في ألا تظهر صورتي على الأفلام ؟ ..

الضرر واضح .. إذ كيف أعيش بقية حياتي - إن
كان لها بقية - عاجزاً عن رؤية النهار؟! ..

* * *

الاثنين ٢٢ يوليو :

اليوم زارنى (مدحت) حاملاً علبة من ...
الشيكلاتة ! ..

يا لك من أحمق يا (مدحت) ! .. أنا لست مريضاً
حتى تعاملنى بهذا الأسلوب المعقد ... لكنه قال لى فى
مودة :

- نفتقدك كثيراً يا د . (رفعت) .. إن عدداً من الطلبة
كان يبغى زيارتك ، لكنى عرضت عليهم أن أقوم بذلك
وحدى ، حاملاً تحياتهم وعلبة من الشيكلاتة .. أعرف
مدى كراهيتك للزحام ..

- وكيف عرفت عنوانى ؟

- د . (رأفت) .. هو من أبلغنا بمرضك ..

ثم ابتسم فى نكاء ، وقال :

- ألم أندرك ؟ .. لا بد أنه مرض نادر يفقد المريض

قدرته على الظهور فى الصور !

- لا أعرف مرضاً مماثلاً سوى الموت .. !

وجلبت له بعض المياه الغازية .. ثم جلست أرمقه

وهو بجرعها محاولاً أن أسبر غوره ..

- (مدحت) ..

- نعم يا د . (رفعت) ؟

- لماذا كذبت !؟

تقلص وجهه استبشاعاً للتهمة .. ونظر لى غير مصدق .. فقلت له ضاعطاً على مقاطع الكلام .

- أنت كذبت .. ، والآن لا يوجد هنا سوانا ولن

يسمك أحد .. أريد منك أن تفسر لى سر إنكارك رؤية

هذين الزوجين فى رحلة القناطر .. ، أنت رأيتهما ..

وأجبت على سؤالى عنهما .. وقلت : إنك تعرفهما منذ

فترة .. فكيف تقول الآن : أن هذا لم يكن ؟

بدت الحيرة على ملامحه ، ووضع الكأس جانباً

ليقول :

- أنا لا أفهم يا د . (رفعت) .. لو كان شىء من

هذا قد حدث فأنا لا أذكره .. لا أعرف طالبين متزوجين

فى هذه السن المبكرة ، كما لا أذكر أننا تبادلنا كلمات

كثيرة فى أثناء الرحلة ..

- مرة أخرى تكذب !

بدا عليه الارتباك ، فهو لا يعرف ما يقول .. وبعد

هنيهة غمغم :

- لا أدرى لماذا تهتم يا سيدى بهذين .. إن المشكلة

الحالية بالنسبة لك هي مشكلة (التلاشى الفوتوغرافى) ..
وكنت ...

- أنا من يحدّد مشكلته لا أنت !

- أعنى أننى لم أعر هذا الموضوع اهتماماً .. و ...
نهضت فى عصبية ، فرفعت الصينية التى كانت
أمامه بما عليها من بقية زجاجة المياه الغازية ..
واتجهت للمطبخ ..

قال فى ارتباك :

- لكنى لم أفرغ بعد من ...

صحتُ وأنا أعود ، وأجذبه من ذراعه لينهض :

- لا أراك مستحقاً لشربها .. والآن دعنا نتفق على
أنك شخص غير مرغوب فيه هنا ، وئسن استطعت
الإمساك بكذبك فلسوف أنسفك نفساً !..

وبحركة مسرحية أشرت للباب :

- اخرج ! .. اخرج !

كاد الانفعال يدفعنى إلى أن أقول له : اخرج يا عدو
الله ! ، كما كانوا يفعلون فى مسرحيات (يوسف وهبى)
القديمة ، لكننى تمالكت نفسى .. فاكتفيت بالمقطع الأول .
- ولا تنس هذه !

ووضعت علبة الشيكولاتة تحت إبطه ، وقدمته إلى

الباب .. بينما هو يردّد عبارات مختلطة بلا معنى ربما
هى اعتذار .. أو محاولة لفهم الموقف .. المهم أنه
خرج خروجاً مهيناً .. للأسف لم أجرؤ على ركله فإن
هذا كان سيرىحني كثيراً ...

إن الذى يكذب عليك فى وجهك عالماً أنك تعرف
كذبه ، لهو إنسان فذّ .. إنسان جدير بحطب جهنم ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :

فى ساعة مبكرة من النهار اتصلت بى د . (كاميليا)
تسألنى عن حالى ، نسيت أن أقول هنا إنها تعانى من
الفراغ مثلى لأنها تعيش وحدها .. والداها متوفيان ..
وأخواتها متزوجات .. وأنا واثق بأنها هشة تماماً تحت
قناعها المتسلط الواصل من نفسه .. وأنها بحاجة
لإنسان .. أى إنسان ..

- لم تذهبى للعمل اليوم إذن !؟

- اليوم إجازة .. عيد الثورة .. أم لعلك نسيت ؟

- لقد فقدت اتزانى حقاً .. لم أعد أذكر من أنا ..

ضحكت تلك الضحكة العالية الرنانة المميزة لهاته

النسوة الهستيريات .. وقالت :

- ما هى أخبار التحول الشبى !؟

ولفظت كلمة (تحول) باللاتينية (ميتامورفوزس)
كعادتها ، وأنا أجد هذا الأسلوب استعراض ثقافة لا أكثر ..
ما هو عيب لفظة (تحول) وما الصعوبة في نطقها؟! ..
قلت لها ..

- المزيد من تساقط الجلد .. وأنباء محيرة للغاية ..

- عن هذين الطالبين ؟

- وكيف عرفت ؟

- ربما منك ..

ودار الحديث لفترة لا بأس بها .. لا أذكر حقًا عم
تحدثنا ، لكنها كانت تسلية معقولة ..

بعد انتهاء المكالمة ، دق جرس الهاتف ثانية .. لم
يعد هذا البيت (سنترالاً) مركزيًا .. بل هو أقرب إلى
مركز إسعاف .. فلنر من هذا المتطفل :

- صباح الخير يا (رفعت) .. هذا أنا .. (رأفت) .

- أخيرًا ؟؟ حسبتهم أخذوا الهاتف من دارك ..

- ما هذا الذي فعلته مع (مدحت) ؟ .. لقد حكى

القصة في كل مكان ، والكلية كلها تتساءل عن حالتك

العقلية .. يقولون : إن ولعك بالخوارق قد بدأ يؤثر في

مخك ..

- لقد استحق هذا .

تنهد فى صبر .. وقال :

- لم يحدث فى التاريخ أن طرد أستاذ تلميذه الذى جاء
يحمل له أمنيات زملائه بالشفاء .. حتى لو كان هذا
الأستاذ هو د. (فرانكنشتاين) نفسه ..

لم أرد .. فقال وهو يحاول أن يهدئ من لهجته :

- على كل .. حاولت أن أحسن الوضع بقولى : إن
مرضك قد جعلك عصبياً ..
- لا بأس .. إنها لحقيقة ..

وفى هذه الثانية دق جرس الباب ، فاعتذرت من
(رأفت) طالباً أن يمهلنى ريثما أرى من هناك ...

وأزحت الرتاج ونظرت إلى خارج الباب المفتوح ..
رأيت شاباً أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك
الطراز الذى يسمونه (ألبينو) .. أو عدو الشمس ...
وفى اللحظة التالية أدركت أنه هو ..
هو ...

الذى بدأت به هذه المأساة ... !

* * *



رأيت شاباً أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذى
يسمونه (ألبينو) ..

مذكرات (آشتا)

هذا الجزء غير مكتوب على ورق ، ولم يُستخدم
الحبر في كتابته .. بل هو نوع من الرؤى ، أو
الإحياءات التي هي إلى الهواجس أقرب ..

١ - غير المدعويين ..

١٨ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

ربما أنا أول مواطن من (أرض الأطياف) يجلس
ليكتب مذكراته .. وهى لعمري عادة غريبة يمارسها
(الماديون) أحيانا كأن حياتهم ملحمة تستحق التدوين ..
متى جئت إلى هذا العالم ؟ .. لابد أن هذا حدث من
زمن سحيق إلى حد أنني نسيت كل شيء عنه ..

إن تاريخ شعبنا لقديم للغاية .. ربما منذ اللحظات
الأولى لوجود هذا الكون نفسه .. ونحن الآن - فى
عام الوميض ٣٢١٥٦٩ - مازلنا لا نعرف الكثير عن
نشأتنا ...

كل ما نعرفه أننا كنا هنا دائما ...

نحن نعيش مع (الماديين) ، جوارهم .. أمامهم ..
خلفهم .. فى كل مكان يذهبون إليه .. لكنهم لا يروننا ..
ربما لأن هناك عيبا شنيعا فى عيونهم ، أو فى قدرتهم
على التخيل ..

أعرف أنهم يؤمنون بوجود الجان ، ولكن أحدهم
- مهما بلغ من قوة تخيل - لعاجز عن تخيل وجود
كائنات أخرى غير مادية فى كل موضع ...

إننا نحيا فى ديارهم .. لماذا نبني بيوتاً خاصة بنا
مادام هناك من فعل ذلك لنا ؟ ..

لكم سيدهشون ! .. هذا الأعزب الذى يعيش وحيداً
كذئب متفرد ماذا سيقول .. وماذا سيفعل .. لو تصور
لحظة واحدة أن هناك أسرة من عشرة أفراد تشاركه
السكن تحت سقف داره !؟ ..

حتى مواصلاتهم نركبها ، ولو أن المواصلات لا تمثل
مشكلة بالنسبة لشعب الأطياف .. لأننا نوجد حيث نريد
متى نريد ..

لا مشكلة هنالك بالنسبة لشعب ينتقل عبر الأثير ،
مخالفاً كل القواعد الطبيعية وقوانين المادة .. ، لقد
اقترب بعض (الماديين) من الحقيقة .. منهم
(آينشتاين) الذى قال : إن الكتلة تتلاشى إذا وصلت
لسرعة الضوء ، و (ستيف هوكنز) العالم القعيد الذى
تحدث عن الثقوب السوداء .. كلاهما اقترب من الحقيقة ..
لكنه لم يلمسها حقاً ..

ومن الواضح طبعاً أن أحداً من (الماديين) لم يفهم
عم تحدث هذان العالمان الملهمان ، وماذا أرادوا قوله
بالضبط .

نحن نعيش حول (الماديين) فى كل مكان تقريباً ..

تعدادنا يفوق البلايين .. نعرف ونلاحظ كل شىء دون
أن يتخيل أحد مجرد وجودنا ..
قد يبدو هذا إلى حد ما شبيهاً بما يقوله البشر عن
(القرين) .. لكن الموضوع يختلف تماماً ، ولعمري
هذا هو دين (الماديين) الدائم .. إنهم يضعون السحر
والأشباح والجان والشياطين والأرواح والتجسّدات ..
كلها فى سلة واحدة .. ويخافونها كثيراً !! .. بينما
نحن نختلف بشدة عن هؤلاء .. وأبسط اختلاف هنا هو
أن أحداً لم يسمع عنا قط ...

* * *

١٩ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

اسمى هو (آشتا) .. أبى يدعى (آشتا) وأمى
تدعى (آشتا) .. (آشتا) هو الاسم الذى يطلق على
كل شىء وكل فرد فى عالمنا .. (آشتا) هو اسم
الشهور كلها .. و (آشتا) هو اسم فصول السنة كلها ..
و (آشتا) هو اسم حاكمنا .. ورئيس وزراءنا .. وكل
سفرائنا ..

تسألنى - بعقلك المادى المتحجر - عن الفوارق بين
كينونة وأخرى فى عالمنا .. أقول لك : إننا نعرف ما نتكلم
عنه .. لأن الكلام ليس من عيوبنا .. إن وجودنا هو
وجود الأفكار ذاتها .. (التخاطر) - كما تسمونه - هو

لغتنا الوحيدة .. وحين أفكر فى حبيبتي (آشتا) ،
يكون الجميع على علم بمن أعنيه بـ (آشتا) .. لأن
الجميع يرون صورتها فى أذهانهم .. والآن دعنى أقص
عليك تفاصيل يوم فى حياة رجل من (أرض الأطياف) .
أعيش هذه الأيام فى دار مستشار متقاعد .. عجوز
لطيف المعشر رقيق الحاشية .. يقضى سنوات ما بعد
المعاش فى مشاهدة التلفزيون بعد ما تزوج أطفاله ،
ونسوا أمره تمامًا .. وتوفيت زوجته .. وهو الآن
ينتظر النهاية فى صبر ...

لكن هذا الرجل الذى لا يخشى الموت ، سيموت هلعًا
لو عرف أن هناك من يشاركه المسكن .. بل والفراش
ليلاً .. ! ..

نعم .. أين تتوقع منى أن أنام مادام بالبيت فراش
واحد؟! .. صحيح أن الرجل يغط فى نومه كضفدع ..
وصحيح أنه يدخن كثيرًا ، لكنى أتحمّل كل هذا ...
أصحو فى الصباح لأقرأ الصحف معه - من فوق
كتفه - وأنا سعيد لبطء قراءته ..

ثم يجلس إلى مائدة الإفطار ، فأجلس معه ..
وهنا الفارق الهائل بين (الماديين) والأطياف ..
(الماديون) يهتمون الفول والطعمية والجبن ، بينما

نحن الأطياف نلتهم الأفكار المنسية والذكريات .. هذا
الركام الذى ينساه (الماديون) فى أركان عقولهم هو
طعامنا ..

لهذا نحن مولعون بالأشخاص ضعاف الذاكرة ، فهم
يقدمون لنا طعاماً روحياً لا ينفد .. أحياناً تكون الأفكار
فاسدة أو مسمومة من ثم نصاب بنزلة معوية حادة ..
(كدت ألقى حتفى ذات مرة حين أكلت أفكار أحد
الصحفيين المشاهير !) ..

وحين ينهض مضيئى من المائدة .. أكون قد امتلأت
حتى التخمة .. ويكون هو قد نسى شيئاً جديداً ...
ويفكر الرجل فى الخروج لرؤية الشمس بالخارج ..
هنا أكف عن ملاحظته ..

فالشمس هى عدونا الأزلئ ، وهى قدس الأقداس
بالنسبة لنا .. لقد خاف المصريون القدماء التمساح ..
وربما لهذا عبده وجعلوه ينتظر الخطاة ليلتهمهم فى
العالم الآخر ..

يبدو أن شعب الأطياف فعل ذات الشيء .. كنا نخاف
الشمس لأنها تبددنا وتحرقتنا .. من ثم حرمانها على
أنفسنا .. لكننا بجلناها واحترمانها .. ، وفى عقيدتنا أن
من يتكلم عن الشمس يُنفى إلى عالم الضوء (س)
إلى أبد الأبدىين ..

لهذا يعيش شعب الأطياف حياته كلها فى الغرف
المغلقة المظلمة .. أو فى ضوء (النيون) المعقم
البارد ...

لكننى كنت أشعر بعدم الراحة ..

كنت بحاجة إلى أن أعرف أكثر ...

يقول (الماديون) فى أساطيرهم : إن (برومثيوس)
البطل الإغريقى كان متشوقاً إلى معرفة سر النار ..
النار المقدسة التى تشتعل فى جبال (الأوليمب) ..
لهذا سرق قبساً منها ، وعلم البشر جميعاً كيف
يصنعون النار .. (والنار هنا طبعاً هى رمز للمعرفة) ..
من ثم انتقم منه سادة (الأوليمب) بأن أرسلوا إليه
(بندورا) .. المرأة الفاتنة .. المرأة الفضولية التى
جلبت الوبال على الجميع ..

أعرف هذه الأسطورة لأننى قرأتها فى كتاب نسيه
مضيفى مفتوحاً على مكتبه ..

كنت أنا - مثل (برومثيوس) - ظامناً إلى المعرفة ..
ظامناً إلى سر النار المقدسة : الشمس ...

وكانت لدى (بندورا) أنا الآخر .. هى (آشتا) ...
هل أصفها لك ؟ .. تريد ذلك ؟ .. هأنذا تنسى
يا صديقى أننا غير ماديين .. وأنه من المستحيل أن أقول

لك : إن شعرها كان لونه كذا .. وعينيها كان لونها
كذا .. و ... و ...

كانت طيفا .. طيفا رقيقا .. أفكارها رطبية منعشة
كالنعناع (هل يقرب هذا الصورة من ذهنك ؟ .. كل
(الماديين) يحبون النعناع) .. وكانت لى وحدى .. لى
منذ الأزل ..

كل شيء كان يؤكد أننى و (آشتا) سنمتزج
الامتزاج المقدس النهائى ، الذى تنبعث منه أضواء
وليدة تغدو أطيافاً أخرى .. الكل كان يبارك امتزاجنا ..
(آشتا) و (آشتا) و (آشتا) و (آشتا) ..
حتى (آشتا) وافق بعد تردد على امتزاجنا ..
الليلة ألقاها فى حديقة الحيوان .. وأبثها عواطفى .

* * *

الظلام يسود حديقة الحيوان .. إنه منتصف الليل ..
زئير النمر يتعالى فى أفاصها .. هذا طبيعى ..
فالحيوانات ترانا بوضوح تام .. إن القطط تموء حين
ترانا وتنظر لأعلى .. والكلام تتوتر وتصدر زئيراً
مكتوماً ..

لا أحد من البشر هنا .. وحببتي (آشتا) قادمة
تنساب فوق الأعشاب .. نحوى .. أشعر سروراً فى
روحها .. وألقاها بمثله :



لا أحد من البشر هنا... وحييتي (أشتا) قادمة تنساب فوق

الأعشاب ..

- !

- !

آه ! .. معذرة ! .. نسيت أنني أحدث الأميين الذين لا يجيدون قراءة الأفكار .. ليكن .. سأحاول أن أترجم الحوار لكم :

- حبيبي (آشتا) ! ..

- حبيبتى (آشتا) ! ..

- متى يكون الامتزاج النهائى ؟ .. إلى متى نعيش فى دارين متباعدين ؟

- حينما يقرر (آشتا) الأكبر ذلك ..

تقول وهى تفكر فى أشياء مبهجة للغاية :

- سئمت الحياة مع هذه (المادية) الكريهة التى أقطن دارها .. إنها لا تكف عن قراءة مجلات الموضة ، ووضع المساحيق على وجهها أمام المراة .. لماذا تعتقد أن جسدها يستحق كل هذه العناية لمجرد أنه ذو كتلة مادية !؟ .. ثم هى تكذب .. وما إن تخلو بنفسها حتى تتحول إلى شيطان ..

- آه يا ملاكى ! .. إن فى حوزتنا من أسرار البشر

ما يكفى - لو أعلن - لانتحارهم جميعاً ثلاث مرات ..

قالت وهى تفكر فى الجمال المطلق :

٨١

- حين نمتزج سنذهب لنعيش فى فندق من نوى
النجوم الخمسة .. لآبد أن هناك حجرة خالية من
الأطيارف .. فى أحد الفنادق ..

- للأسف إن هذا العالم مزدحم بالجان والأرواح
والشياطين - إلى جانب البشر طبعاً - إلى درجة أنه
لا يوجد موطن لقدم .. كيف لو عرفت (المادية) التى
تعيشين عندها أن غرفة نومها يغفو بها عشرة آلاف
مخلوق غير مرئى ؟ ! ..

- آه ! .. ستموت هلعاً بالطبع .. ولن يضايقتنى هذا
كثيراً ..

قلت لها وأنا ألمس كيانها فيتبعث ذلك الضوء
الأخضر الغامض الذى حير العلماء .. فتارة سموه
(ضوء سانت إلموس) فى المناطق القطبية .. وتارة
حسبوه ضوء حشرات مضيئة ، ولم يعرفوا أنه ضوء
الحب .. قلت لها :

- إننى أعتزم القيام بمشروع غير عادى ..

- وما هو ؟

- أريد أن أعرف المزيد عن الشمس ! .. أن أراها !

- هل جننت يا (آشتا) ؟ .. كيف تجرؤ على لفظ

كلمة شم .. أعنى قدس الأقداس !

- لا يمكن أن أعيش حياتى دون أن أفهم ما هى ..

- ستحرقك بنيرانها .. ستتلاشى ..

- ومن أدراك أن هذا سيحدث ؟ .. علمونا هذا منذ
الصغر .. ولكن أحدا لم يجزئ على المحاولة ..
- لقد فقدت صوابك !
- أريد أن أفعل ما لم يفعله السابقون .. لأكون جديراً
بك وموضعاً لفخرك الدائم ..
- لن أقهر بك وأنت تخالف قانوننا الأزلي ..
قلت لها وأنا أتأهب للرحيل .
- غداً في الصباح الباكر أخرج إلى الضوء .. لأرى
الشمس وأنعم بها .. فلئن هلكت فعزائي أنني هلكت وأنا
أعرف ..

وابتعدت عن مجال أفكارها ...

* * *

٢٠ (أستا) عام ٣٢١٥٦٩

اليوم قد يكون آخر أيام حياتي ، وقد يكون أهمها ..
اليوم أعرف إلى الأبد ما تعنيه لفظة (شمس) ..
اليوم أسئل غير خصاص النافذة المغلقة إلى الخارج .
ومثما فعل (برومثيوس) .. أضحي بحياتي من
أجل المعرفة ..

(برومثيوس) قضى بقية حياته معلقاً بين جبلين
يلتهم الرخ كبده في كل يوم .. وفي الليل ينبت له كبد
جديد .. لتتكرر المأساة .. فماذا سيحدث لي أنا ... ؟

* * *

٢ - المارق ..

٢٠ (آتينا) عام ٣٢١٥٦٩ [بقية] .

(سو) ! .. (سو) ! ..

الضوء الساطع الذى جعلونا نخافه ونحتقره .. (سو) !
القرص الذهبى المشتعل يسكب حناته ودفاه فوق
الأرض التكلى ..

لم أحترق .. لم أتلاش .. فقط عرفت السر .. فهمت
حقيقة هذا الكون .. الإحكام المطلق فى كل شىء .. الخالق
الأعظم سخر هذا القرص ؛ كى يهب الأرض الحياة ..
إن هذا ...

وفى لحظة تالية تلاشى كل شىء ..

وجدت نفسى أقف فى قاعة شاسعة ملأى بالبشر
الذين يتناقشون فى قضية ما .. ، ووجدت حولى
عشرات الأطياف تحيطنى .. وفى ذهنهم سمعت لفظة
واحدة : العقاب ! ..

وعرفت أين أنا .. أنا فى قاعة بمبنى الأمم المتحدة
يتخذها شعب الأطياف للمحاكمات الكبرى ..

وكان البشر غارقين فى جدل شديد حول حرب
(فيتنام) وإلزام الحكومة الأمريكية بالانسحاب .. فى
نفس وقت محاكمتى ..

أما نحن الأطياف فكان حوارنا الفكرى مختصرا :
- أنت يا (آشتا) خرقت قانون الأطياف .. وتحدثت
مع (آشتا) عن الشمس .. بل وحاولت رؤيتها .. !
- كنت أريد أن أعرف .. وعرفت .. وهأنذا لم يصبني
ضرر ..

- لقد هدمت قدس الأقداس عندنا ..
وهنا صباح أحد البشر فى هستيريا .
- إن حكومة (سايجون) تحاول تبرير إمبرياليته !
- أنت يا (آشتا) قد خرقت القانون عمداً .. وجريمتك
لا يمكن الدفاع عنها أو تنفيذها ..

البشرى مازال يصيح فى البشر الجالسين حوله :
- نعم .. جريمة لا يمكن تنفيذها .. !
- لهذا يا (آشتا) .. عقوبتك هى النفى مع (آشتا)
التي شاركته التآمر .. النفى إلى عالم الضوء (سو)
بلا رجعة ..

- هذه الصور تثبت تورط السوفييت فى مهاجمة القوات
الأمريكية !

- ستكتسب أنت و (آشتا) مظهراً مادياً هشاً ..
وتعودان إلى العالم المادى لتعيشا هناك .. أنتما لن
تعودا طيفين .. ستفقدان (لاماديتكما) إلى الأبد ...

- الرحمة يا (آشتا) الأكبر ! .. ليس هذا !
ولكن (آشتا) الأكبر كان صارماً ...
ولمحت (آشتا) العزيزة .. أفكارها ملأى بالهلع
والتوسل .. كانت تتألم .. وعرفنا أننا سنصير بشراً ..
وأن أحداً لن يرحمنا ...

* * *

الأحد ٥ يونيو :
تم التجسد فى إحدى الحدائق العامة .. وكان الوقت
ليلاً ..

الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شاباً وفتاة على
قدر لا بأس به من الوسامة .. لكن - للأسف - حدث
خلط فى أصباغ الفتى ، من ثمَّ جاء صاحب البشرة ..
من النوع الذى يسميه (الماديون) عدو الشمس .. أما
(آشتا) فكان تجسدها موفقاً ..

ووقفنا نرمق جسدنا فى حيرة .. للمرة الأولى أرى
(آشتا) الفكرة المجردة ، وقد صارت فتاة جميلة ..
كيف عرفت أنها جميلة ؟ .. لا أدرى .. يبدو أننى فقدت
(لاماديتى) للأبد حقاً ...

كانت تبكى وتولول .. لم لا ؟ ..
لقد كانت الأحداث عاصفة .. منذ ثانية كنا فى اليوم



الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شاباً وفتاة على قدر لا بأس به من

الوسامة ..

العشرين من (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ .. واليوم نحن
فى اليوم الخامس من يونيو عام لا أدرى كم بالضبط ..
أنا من جلب لها هذا الوبال ... البائسة ! ..
على أننا كنا بحال طيبة .. المشكلة الوحيدة هى أننا
نعرف حدود هذين الجسدين اللذين يغلفانا ..

أولاً : لا تترك هذه الأجساد ظلاً ..
ثانياً : لا تظهر هذه الأجساد فى الصور الفوتوغرافية
[حالياً يحاول العالم العظيم (آشتا) أن يحل هذه
المشكلة بتطوير نوع الأنسجة التى تحيط بالطيف ..
لكن أهدنا لن نستفيد من هذا الاختراع !] .

ثالثاً : لا تحتمل هذه الأجساد الشمس بصورة مطلقة ..
إن الشمس الساطعة تجعل جلدنا يحترق .

رابعاً : تحتاج هذه الأجساد إلى طعام ، ولا يمكنها
التنقل بحرية كما كان متاحاً لها ..

خامساً : يمكن جعل هذه الأجساد غير مرئية لبرهة
محددة .. وهذا يفيد فى وقت النوم أو الراحة ، فلن
نكون بحاجة إلى مسكن .. إن أى مكان يناسبنا ..

* * *

الثلاثاء ٧ يونيو :

- نحن فى القاهرة .. المكان الذى كنا نعيش به ونحن
طيفان .. لكن من أين نبدأ الحياة إذن ؟ ...

نحن نعرف الكثير عن البشر .. فنحن نراقبهم طيلة حياتنا .. إن سننا ومظهرنا لا يصلحان إلا للتصنيف تحت قائمة واحدة : طلبة الجامعة .. لهذا .. ولنتمكن من ممارسة حياة طبيعية فى هذا العالم المروع ، لابد أن نلتحق بجامعة ما .. ونزعم أننا زوجان .. هذه هى الطريقة الوحيدة كى نبرر عزلتنا الدائمة .. كون (أشتا) متزوجة سيحميها من ملاحظات كل الأوغاد الذين يظنون أنهم ذوو فتنة .. وكونى متزوجاً سيفسر عدم رغبتى فى مصادقة أحد ...

وهكذا ...

قمت بتزييف أوراق تقول : إننا طالبان فى كلية طب (...) ، إن كل شىء هين بالنسبة لمن يستطيع أن يكون غير مرئى ..

وبدأتنا نحاول الاندماج فى الحياة الجامعية ..

حاولنا أن نقنع أنفسنا بأننا سعيدان بكوننا (ماديين) .

ولكن يا لفضول هؤلاء القوم !

فى كل مكان تذهب إليه ، تجد عشرات العيون الفضولية ترمقك فى غير ود .. فأكاد أصرخ : ماذا تريدون منا أيها الأوغاد !؟

تدخل إلى مكان ما فيرمقونك في ذهول ، ولسان حالهم يقول :

تباً ! .. إنه يدخل ! ..

ثم تجلس فتري العيون تكاد تثب من محارها ،
لسان حالهم يقول : ياللهول ! .. إنه يجلس أيضاً ! ..
أية جرأة !

أما تناولك لمشروب غازي فإنه يجعلهم يموتون من
الذهول ، وهم لا يصدقون أنك قد بلغت هذا المدى
البعيد !

لماذا لا تتركونا وشأننا أيها الحمقى ؟! ..

* * *

الخميس ٩ يونيو :

الفضول يغمر الجميع في الكلية بشأننا .. أحد الطلبة
المولعين بالتدخل فيما لا يعنيههم جاءنا يعرض خدماته ،
لكنه في الواقع يحاول معرفة (كنهنا) بالضبط ..
عرفت أن اسمه (مدحت) ...

قال لنا : إن هناك رحلة تقوم بها الكلية إلى القناطر
الخيرية يوم السبت القادم ، وأصر على أن نشترك معهم ،
لأننا - كما قال - نبدو أميل إلى الانطوائية ، والانطوائية
- كما قال - هي فطر سام يذبل في النور والهواء ...

سألت (أشتا) بالتخاطر الذي لم ن فقدته بعد :

- ما رأيك ؟

- لم لا ؟.. يجب أن نندمج فى هذا العالم بأى ثمن ..
نحن لم نعد من شعب الأطياف .. لايد لنا من مكان ما .
ووافقنا على الرحلة .. كنا نستشعر الوحدة .. فقد
حرمنا من رؤية الأطياف الأخرى للأبد برغم أننا نعرف
أنهم يروننا .. ويحيطون بنا طيلة الوقت ..
ترى ماذا يقولون عنا الآن .. ؟

* * *

السبت ١١ يوليو :

كانت تجربة مريرة ، الجلوس فى حافلة يملؤها
الصخب ، وضجيج البلهاء .. وعرفت و (آستا) أننا لن
نتأقلم مع هذا العالم أبداً .. إلا أننا شعرنا بارتياح
لمشرف الرحلة .. وهو أستاذ جامعى يدعى (رفعت
إسماعيل) .. رجل نحيل كالأفعاى .. كئيب متعكر
المزاج كخرتيت .. يدخن بإفراط كبركان ...
كان يجلس وحيداً يرمق كل هذا فى اشمزاز ..
وشعرنا أننا - على الأقل - وجدنا واحداً يشاركنا
مشاعر الغربة ..

لكن ظننا خاب حين وصلنا إلى مقصدنا ..
فقد تكشف هذا الرجل عن فضولى غير عادى ،

لا يكف عن مطاردتنا بنظراته كلما ذهبنا هنا أو هناك ..
وازداد الأمر سوءاً حين أخرج كاميرا فوتوغرافية ،
وشرع يحوم حولنا كقط حذر ..

وأدركت مقصده على الفور .. إنه يحاول أن يلتقط
صورة لنا لغرض فى نفسه ! .. يجب منعه بأى ثمن ..
وإلا سيفتضح أمرنا تماماً .. محاولات عديدة بذلها ..
ومحاولات عديدة فررنا بها . لكن فرارنا لم يزدده إلا
إصراراً ..

وجاءت اللحظة التعسة حين نجح فى اقتناص صورة
لنا ، من وراء كتف طالب كان يخفيه عنا .. يا للكارثة !
قالت (آشتا) فى هلع :

- انتهى الأمر لن نجدنا فى الصورة ، ولسوف
تتراكم علامات الاستفهام حولنا .. لم تعد حياتنا ممكنة
هنا .. فلنرحل ..

- اصمتى يا (آشتا) .. إن هذا الرجل سيدفع ثمن
فضولنه غالباً ..

وخطرت لى فكرة ..

إن جسدينا يتكونان - تحت الجلد - من طاقة .. طاقة
ذات إشعاع يمكنه أن يؤثر فى الفيلم .. إن صورتنا
ستتطبّع على الفيلم .. لكن بشرياً لن يراها .. لن يراها
سوى كيان طيفى .. سوى كتلة من الطاقة ..

لو أن (رفعت) هذا بدأ يتحول إلى طيف ، فإنه سيبصر صورتنا على الفيلم دون جهد .. وفي ذات الوقت ستبدأ تغيرات غير مفهومة تصيبه .. ربما يجن .. ربما يفقد صوابه .. لا يهم .. لقد كان هو البادئ بالعدوان .. فلنبدأ انتقامنا .. الآن يا (آشتا) .

وفي رحلة العودة بالحافلة ظلت و (آشتا) تواصل ما بدأتاه .

تشابكت كفاتنا وشرعنا نوحّد طاقتنا كي نزرع كتلة خلايا هذا الرجل .. ببطء يتخلى عن ماديته ويغدو مثننا .. مجرد صورة لا أكثر .. لكنه لا يشعر بهذا .. وعرفنا أنه حين يطبع الصور سيجد صورتنا واضحة أشد ما يكون الوضوح ، لكن أحداً سواه لن يراها .. لا بأس .. لن يدفعه هذا إلى الشك فينا .. بل سيشك في قواه هو العقلية ..

الأتين ٢٣ يونيو :

* * *

لم تنته المفاجآت الأليمة ...
اقترفت (آشتا) خطأ جسيماً في إحدى المحاضرات الختامية للعام ، حين سألت المحاضر عن معنى لفظة (رئة) الإنجليزية ..

وللحظة ظننا الرجل تمزح .. ثم أصابه الدهول ..
وراح يردد :

- طالبة فى السنة الثالثة بكلية الطب .. ولا تعرف أن
(لاج) معناها رئة ! .. إن هذا ليس جهلا .. بل هو
يدخل فى نطاق الجريمة .. من أين أتيت يا دكتورة ؟ ..
من المريخ ؟ .. هل أنت واثقة من أنك معنا هنا ؟
بدا لى الرجل موشكاً على الإصاىة بنوبة قلبية ..
لكن المشاكل لم تنته ..

فبعد المحاضرة فوجئنا بالطليبة يحتشدون حولنا
ليمنعوننا من مغادرة القاعة .. ورأيت المدعو (مدحت)
يتقدم منا وفى عينيهِ نظرة عدااء ، واضحة .. وسمعتة
يهتف :

- هذا حق .. من أنتما !؟

تعالى صوت طالب منهم :

- أمس سألتته عن رأيه فى مباراة (الأهلى
والترسانة) .. كل مخلوق فى مصر تايعها أو سمع
عنها .. أما هو فلم يعرف أصلاً أن هناك مباراة .. أكاد
أقسم إنه لم يسمع عن لفظة (أهلى) من قبل !

كان يتحدث عنى .. وتعالى صوت رفيع لطالبة تقول :

- أما هى .. فلا تعرف شيئاً على الإطلاق .. لم تفهم

معنى (ساتان) ولا (أورجائزا) ولا (بيديكير) ..
حتى حين سألتها عن (الكوافير) الذى تتعامل معه
تساءلت فى حيرة : هل تعنين حاكم الإقليم ؟!

قال (مدحت) وهو يكشر عن أنيابه :

- هذا هو السؤال .. من أنتما ؟ هل أنتما جاسوسان

إسرائيليان ؟

تعانى صوت آخر :

- ربما هما من المريح كما قال د. (محمود) ؟

- أو ذاك من مزيفان من هواة الطب ..

كان الموقف يزداد سوءاً .. من الواضح - كما تنبأت

(آشتا) - أنه لا وجود لنا ولا مكان فى هذه الكلية ...

- (آشتا) .. يجب أن نرحل ..

- أنا معك .

تبادلنا هاتين العبارتين عبر سيل أفكارنا ، الذى لم

يسمعه هؤلاء ..

- لكن يجب أن نمحو كل أثر لنا فى عقولهم ..

- تعنى أن نلتهم كل هذا الكم من الأفكار ؟ .. سنصاب

بتخمة ..

- هذا هو الحل الوحيد ..

وشرعنا نستخدم موهبتنا الضيقية ..

شرعنا نبتلع كل الذكريات بخصوصنا من عقول حشد
الطلبة المحيط بنا .. ، وحين انتهت مهمتنا كان كل
واحد منهم يرمق الآخرين بنظرات زائفة .. وقد نسي
كل شيء عن السيب الذي احتشدوا من أجله ..
وانتهزنا الفرصة لنختفى عن عيونهم ، قبل أن
يرونا .. فيتذكرون ..

* * *

الثلاثاء ١٤ يونيو :

قرّر قرارنا على الاستمرار فى إحدى الجامعات
الإقليمية ، وفى كلية أخرى غير الطب .. فنحن لم نكن
يوماً ممن يجيدون الإنجليزية أو اللاتينية .. على أننا
شعرنا أن هناك شيئاً يتحتم علينا عمله قبل أن نرحل ..
فمادام أمرنا قد افترض ، وانهارت خططنا فى هذا
المكان ، فلم يعد هناك داع لكى نترك د . (رفعت
إسماعيل) فى طور اللامادية الذى يمز به .. لسوف
يتعذب المسكين كثيراً .. خاصة حين يفقد تحمله
للسمس (سو) ويحترق جلده .. ويغدو عدواً للشمس
مثلنا ..

وهذا أمر متوقع خلال شهر أو أقل ...
إذن علينا أن نتنزع منه ما منحناه إياه من طاقة ..

عرفنا عندئذ أن الرجل قد سافر إلى (الولايات المتحدة) .. وأنه سيبقى هناك شهراً أو أقل قليلاً ...
سيكون علينا أن ننتظره حتى يعود كي نحرره ...

* * *

الثلاثاء ٨ يوليو :

لقد عاد د. (رفعت إسماعيل) اليوم .. هذا حسن ..
لقد مرت رحلة (الولايات المتحدة) بسلام إذن ، ولم
يلتقط له أحد صوراً .. المفترض منا الآن أن نحرره
دون أن يشعر هو بذلك .. لا بد من عدد من اللقاءات
الدانية معه تتيح لنا انتزاع طاقته .. ولكن كيف ؟ ...

وكانت (آشنا) تملك الجواب ...

الفتاة التي كانت (آشنا) تعيش معها عندما كنا في
عالم الأطياف ، هي أستاذة فلسفة عانس تدعى
(كاميليا) ..

وكانت (آشنا) قد درستها تماماً .. عرفت كيف
تتكلم .. كيف تلبس .. كيف تضع (الماكياج) .. بل
عرفت حتى طريقة تفكيرها وأسلوب حياتها ...
وخطرت لنا الفكرة المجنونة .. (آشنا) تتنكر لتبدو
كالأستاذة .. (وهذا هين مع كل المساحيق التي تضعها
هذه) وتذهب لتتعرف الدكتور (رفعت) ..

وعن طريق لقاءات متعددة تتمكن من استخلاص
طاقته .. ولكن متى وكيف ؟ .. هذا هو السؤال ...

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

الأمور تسير على ما يرام ..

كنت قد قابلت بالصدفة - منذ أيام - رجلاً يدعى

د. (محمد شاهين) يزور د. (كاميليا) في مكتبها ..

وعرفت بالصدفة أن هذا الرجل هو صديق قديم

لـ (رفعت إسماعيل) ...

هذا رائع !.. سيكون هذا الرجل هو حلقة الوصل

التي أريدها ..

زرته في مكتبه ، وقلت له : إنني صديق قديم وقريب

لـ (رفعت) .. وأن الجميع قلق ، لأن قطار الزواج

سيفوت هذا المخبول .. ثم قلت له : إنني أرشح

د. (كاميليا) لتكون مدام (إسماعيل) ..

تحمس الرجل للفكرة ، وأدركت أنه طيب القلب إلى

درجة البلاهة .. فطلبت منه أن يبقى الأمر سراً بيننا ،

على أن يفتح د. (رفعت) بالأمر كأنه عارض ..

ومن بنات أفكار د. (محمد) وحده ..

في نفس الوقت كانت د. (كاميليا) قد سافرت إلى

(الإسكندرية) فى رحلة قصيرة . وصارت دارها
الخواوية ملكا لى و (آشتا) .. وهكذا صار لنا بيت
وفراش وتلاجة وحمام ..

وفى هذا البيت شرعت (آشتا) تستعد لكى تلعب
دور د . (كاميليا) حين يأتى (رفعت) ليراها غدا ..

كان الماكياج متقنًا ، ومع المساحيق ، والجمعة
كستنائية اللون ، والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادى
المميز لـ (كاميليا) . صار الشبه تامًا .. خاصة
و (رفعت) لم يرها من قبل .. و (محمد شاهين)
لا يرى أبعد من مترين .. أما بالنسبة للباقيين فى القسم ،
فمن قال : إن هذه هى د . (كاميليا) !؟ .. إنها دراسة
نهمة للفلسفة لا أكثر ...

* * *

الثلاثاء ١٥ يوليو :

تم اللقاء الأول ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو :

تم اللقاء الثانى فى (كافتريا) .. وحاولت (آشتا)
أن تكون (كاميليا) تماما فى كل شىء .. لم يشك
(رفعت) فى أمرها .. لكن المهمة كانت أعقد مما



كان الماكياج متقنا ، ومع المساحيق ، والجممة كستنائية اللون ،
والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادي المميز له (كاميليا) ..

تصورت .. يحتاج الأمر إلى كثير من التركيز لإنهاء
هذه اللعنة التي تطارد (رفعت) ..
المشكلة أنها لن تستطيع ممارسة هذا التركيز دون
أن تثير ريبته ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :
لن تطول المهزلة أكثر من ذلك ..
عرفت أن (رفعت) ملأ الدنيا صراخاً ، وقد بدأ
الناس جميعاً يتحدثون عن خياله ، وتبدل طباعه ..
وأنه طرد الطالب الذي زاره حاملاً هدية الطلبة من أجل
مرضه ..
يجب أن ننهي عذاب هذا البائس حالاً ، خاصة أنه
عذاب بدون جدوى ...
وفى الصباح توجهت إلى داره ...
وقرعت جرس الباب فى تصميم ...

* * *

[عودة إلى مذكرات د . (رفعت)]

٧ - أطياف !

الثلاثاء ٢٣ يوليو [بقية] :

انتهى الفتى من سرد قصته ، وراح يرتقب الانفعالات
التي سأتى بها ..

لكننى ظللت أرمقه فى تراخ .. عاجزاً عن قول شىء .

قال لى وعلى شفتيه تتلاعب ابتساماً خافتة ..

- أن تلومنى ؟ .. أن تقول لى كم أنت محنق !؟

فتحت فمى .. وبصعوبة خرجت الكلمات :

- و د . (لوسيفر) ؟ .. لقد كانت قصته أقرب إلى

الصواب من كل شىء .. هل هذا الرجل !؟

وصمت .. لكن الفتى أدرك ما أردت قوله ..

قال فى هدوء :

- إن د . (لوسيفر) - كما تسمونه - يعرف حقيقة

وجودنا ، وقادر على الاتصال بنا .. وأعتقد أن القصة

كلها وصلته بشكل ما ..

ثم أردف ، وهو ينظر فى عيني :

- إن ما قاله لك (لوسيفر) لم يكن رجماً بالغيب ..

بل كان يتحدث عن حقائق يعرفها .. وبالمناسبة : نحن
نسميه (هو) ، وهناك من يسمونه (خريولسن) ..
- إن ما تقوله لغريب .. غريب حقاً .. حتى إنه
يتجاوز قدرتي على الحكم الأخلاقي على الأمور ..
لا أدري ما إذا كان كل هذا يدعو للحق أم لا .. لكنني
غير قادر على الغضب ..

ضحك الفتى - الذي لا أعرف كيف أناديه - وقال :
- هل لديك أسئلة أخرى ؟

قلت وأنا أقذف بعض حبات النعناع إلى فمي :
- الواقع أن هناك احتمالاً لا بأس به في كونك تخذعني .
- وكيف لي أن أعرف كل شيء عن مشكلتك .. وعن
د . (كاميليا) .. وعن د . (لوسيفر) ؟ .. وعلى كل
حال .. الأمر هين ..

ومد يده نحو مفتاح النور .. فأضاءه .. وعلى الفور
غمر الضوء الحجرة .. وسار بتؤدة ليلامس الجدار ..
قال وهو يجذبني لأقف جواره :
- انظر إلى ظلي .. وظلك ..

نظرت إلى الجدار .. فوجدت ظلي الأصلع النحيل
ينظر مشدوهاً أمامه إلى ... إلى لا شيء ...
إن الفتى لا يترك أي ظل على الجدار .. !
- هل رأيت ؟ .. إن الضوء يمر عبر قناعي المزيف

دون جهد .. ولهذا لا تنعكس صورتى على الأفلام ..

- و.. لماذا أرى أنا ظلى مادمت مثلك ؟

رفع كفه فى كبرياء :

- لحظة من فضلك .. لست مثلى .. بل أنت فى الطريق

لذلك .. ولو أننى تركتك وشأنك لصحوت بعد شهر من

النوم لتجد أنك لا تترك ظلاً ..

ثم إنه قادنى عائداً بى إلى الأريكة .. وجلس وجلس ..

وقال وهو يخلع حذاءه ويتربع جالساً :

- والآن - وقد زالت الشكوك جميعاً - أرى أن تمنحنى

تفكيرك وكيانك كله يا د . (رفعت) .. سأعمل الآن

على شفائك من وصمة (التلاشى الفوتوغرافى) هذه ...

- أكون شاكرًا لو أسرعت ...

أمسك بيدي وأغمض عينيه ...

* * *

أنا أخلق فوق المحيط بأجنحة من شمع مثل

(إيكاروس) .. الشمس .. لا أريدها ! .. إنها ستذيب

أجنحتى .. إنها ستجعلنى أهوى من عل ...

(إيكاروس) مات لأنه دنا كثيراً من الشمس .. من

الحقيقة .. وأنا مثله أقترب .. وأقترب . دون أن

أستطيع المقاومة ..

أطياف فى كل مكان .. أطياف تتأملنى وتضحك ..

برغم هذا أنا عاجز عن رؤية ملامحها ..

زجاجة العصير انسكبت .. لكن النمر لم يلحق
بالغزلان .. ، (آشتا) .. (آشتا) .. تناديك من الثقب
الأسود .. القزم الأخضر لن يلبث طويلاً حتى يتحول إلى
ثقب .. ثقب أسود كبير .. لماذا لم يجروا لى جراحة
اللوزتين ؟ .. ربما لأن (قابيل) قتل أخاه .. لو لم ير
الغراب لما عرف كيف يوارى سواة أخيه ..

السماء تتحول إلى خنجر عملاق يهوى فوق صدرى ..
وأنا ممدد على الكلا مقيداً بلا حيلة ..

سيخرج هذا الخنجر كل الدماء الفاسدة .. كل الأوهام ..
ربما يستأصل لى اللوزتين أيضاً .. (بو) كان يعرف
كيف يفزعنى .. والآن مات (بو) .. فمن سيفزعنى
بعد هذا ؟ ..

و (كاميليا) لها صوت رجل .. ترى هل هى تملك
أحلاماً أنثوية ؟ .. هل تحب الزهور والربيع ؟ .. السير
(ماكيلوب) يرفع البوق إلى شفثيه .. وعماً قريب
يخرج وحش (لوخ نس) من البحيرة ..

لا ..! ليس (ماجى) ..!..!..! النباتات المشثوم يمد سيقانه
ليمتص دمائى .. إن (براكسا) تريد جسدى لتعيش
فيه .. الاستحواذ .. (أينشتاين) كان عبقرياً .. و ...

هوذا الثقب الأسود .. ليس ثقباً وليس أسود .. إنه
مجرد باب يقود إلى بعد آخر .. وعلى جانبه يقف (آشتا)
ملوحاً بذراعه اليمنى لى .. لا أرى ملامحه .. فقط ظله .

- هل حقًا انتهيت يا (آشتا) ؟ ..

- نعم يا د . (رفعت) .. أنت الآن حرّ .. لقد استرددت ماديتك .. وما أغربه من ارتباط !.. من المعتاد أن الحرية تعنى الخلاص من المادية ..

- وهل .. هل سأظهر فى الصور ؟ ..

- بالتأكيد .. وسترى الشمس دون وجل ...

- وهل ستلتهم ذكرياتى عنكما .. وعن شعب الأطياف ؟

- كان هذا منطقيًا يا د . (رفعت) .. لكننا لن

نفعله .. لقد وجدنا فى رأسك عقلًا يمكنه استيعاب

الفكرة .. عقلًا يمكن أن يحتفظ بالأسرار .. عقلًا

شريفًا ..

ولا نطلب منك سوى وعد بأن تحفظ سرنا ..

- ولكن .. أليس من الأوفى والأسلم أن تزيلوا

ذكراكم من عقلى ؟

- بالعكس .. نحن بحاجة إلى (الماديين) .. يجب

أن نتعلم منهم أكثر حتى لا تحدث أخطاء جديدة ..،

ستكون أنت صديقنا الوحيد من بينهم .. ، ولك أن

تتوقع زيارات أخرى منا ..

- إذن أنا حلقة الوصل ما بين العالم المادى وأرض

الأطياف ؟ ..

- نعم .. لو افترضنا أننى و(آشتا) مازلنا طيفين ..

والآن .. لا تضعف يا د . (رفعت) .. لقد تركت في عقلك الباطن نسخة من مذكراتي .. وحين تصحو ستجد الأحداث هنالك .. لكن لا تضعف .. أريد أن تقسم أن هذا سر بيننا ...

- أ .. أقسم أن ...

- هيا يا د . (رفعت) .. إتنى أنتظر ..

- أ .. أقسم أن أحفظ السر .. !

- حسن يا د . (رفعت) .. أعرف أنه بإمكانى أن أتق بك .. والآن يمكنك أن تترك نفسك لأمواج النعاس اللذيذ التي تتقاذفك .. فكر في جزيرة بالمحيط بها كوخ .. انكوخ مصنوع من (البامبو) .. داخل الكوخ يوجد بحار عجوز .. وبيغاء .. وقيثار .. و ...

* * *

كم الساعة الآن ؟ ..

لقد جاء الليل .. غريب هذا !. إن رأسى يعج بالخواطر والأفكار .. لهذا جلست لأكتبها قبل أن تذوب كالآيس كريم .. أفكار هي أشبه بكيس منى بالبيض الطازج .. لو لم أخرجها فوراً فلسوف يهشم بعضها البعض .. وقد انتهيت الآن فقط من كتابة مذكرات اليوم الثالث والعشرين من يوليو أهم يوم في حياة مصر .. وأغرب يوم في حياتى الخاصة ..

* * *

الأربعاء ٢٤ يوليو :

ظللت حبيس الفراش طيلة اليوم لا أجرؤ على
الخروج إلى ضوء الشمس .. لا أدري ما هو صواب
وما هو وهم ...

* * *

السبت ٢٧ يوليو :

للأسف .. الشمس غائمة اليوم .. لن أعرف الحقيقة
أبدًا .. مدفوعًا بفضول لا يهدم اتجاهت إلى كلية
(الآداب) .. وسألت في قسم الفلسفة عن الدكتور
(كاميليا) .. قالت السكرتيرة في لا مبالاة .. وهى
مستمرة فى الطباعة على الآلة الكاتبة :

- حظ حسن .. لقد عادت اليوم فقط من الإسكندرية !
سرت متوترًا نحو الغرفة التى علقت على بابها لافتة
خشبية تقول (أ . د . كاميليا منصور) .. وقرعت
الباب بحذر :
- ادخل !

دعانى الصوت الرجولى الخشن فدخلت .. كانت هى ..
هى بعينها .. لكنى لاحظت أنها لم تبد سعيدة أو
متحمسة للقائى .. قلت لها وأنا أجلس :

- لم تتصلى بي منذ أربعة أيام ..

- أفندم !؟

- منذ أن جلسنا في الكافتيريا نتحدث عن التلاشي ..

..

رأيتها تنهض وقد رفعت كتفيها .. وعلى وجهها
أعتى علامات الغضب .. وعندئذ عرفت أنها حقا ليست
هى .. لون العينين مختلف .. الذقن مدبب ومشقوق ..
التجاعيد أكثر .. المساحيق أقل .. ليست هى .. والآن
يجب أن أفر ..

- هل جننت أيها المخبول ؟ .. أنا أجلس معك فى
كافتيريا وأتصل بك فى دارك ؟ .. عم تتكلم بالضبط
يا أستاذ ؟ .. أنا لم أرك فى حياتى .. يا لها من وقاحة
وقلة حياء ! .. يا (شعبان) ! .. (شعبان) !

لقد فتحت بوابة الجحيم على نفسى ، وحين تبدأ هاته
السيدات قويات الشخصية القياديات فى الصراخ ، فلن
يسكتهن سوى الديناسايت .. وهاموذا (شعبان)
الساعى يهرع إلى الغرفة ليعرف سبب هذا الصراخ ...

- خذ هذه الحثالة وألق بها إلى الخارج !

ثم تنهدت فى إعياء .. وأردفت :

- إنه يتهجم على ... !

* * *

خاتمة ..

إلى هنا تنتهى الفترة التى اقتبستها من مذكراتى .
ولربما أعود لهذه المذكرات مرة أخرى حين أجد
ما يستحق .. فهى - قطعاً - ملأى بكلام لا طائل من
ورائه .. وخواطر سخيفة .. ومشاريع لم تتم قط ...
انتهت القصة إذن بهذا الموقف المحرج ، ووجدتني
أرمى إلى الخارج رمياً .. لكننى على الأقل تأكدت تماماً
من أن كل ما حدث لى لم يكن وهمًا ...

قابلت د. (محمد شاهين) بعدها فى (الفيشاوى) .
وسألنى عما حققت من نجاح فى موضوع الزواج ،
فقلت له - بخبث - إننى لا أعرف سبب تبدل طباع
(كاميليا) ، وطلبت منه أن يتوسط لى عندهما فوافق
متحمساً .. !

وقد كان .. ! ..

صحيح أنها لم تطرده ولم تلق به فى الشارع لأنها
تعرفه جيداً ، لكنها ظنت بحالته العقلية الظنون حين
راح يحكى لها تفاصيل لقائى معها .. بينما هى لم تكن
فى القاهرة أصلاً ! ..

هذا عن (كاميليا) ..

أما عنى أنا .. فلا داعى لأن أقول : إننى هرعت إلى
ستوديو التصوير ، وظنيت التقاط صورة لى ..

وفى اليوم التالى وجدت صورتى المفزعة ، فبدت لى
أجمل ما رأيت فى حياتى ..

ومن نافلة القول أن أقول إننى عدت أتحمل الشمس ..
وصارت أشعتها الذهبية الفاتنة صديقى الدائمة ..

* * *

أما عن آخر ذيول القصة — علاقتى بطلبتى — فقد
تكفل به (مدهت) نفسه .. الذى شرحت له مدى
توترى وتدهور محققى لى تلك الأيام الكئيبة ..

يذكر الفاريزى الذى حدثت عن (أشفانين) ما .. فى
مقدمة قصتى مع حارس الكهف (العدد السابع) ..

قلت لك : إنهم تسرقوا .. وأبيت أن أذكر أية
تفاصيل عنهم ..

المواقع أن الوقت — حان لأعلن هذه الحقيقة التى
كنت أحاول إرجاءها بعض الوقت ..

إن (أشتا) و (أشتا) و (أشتا) — الثالث له ظروف
مماثلة لهما — مازالوا يزورونى من حين لآخر ..

أحيانا يقرعون الباب ..
وأحيانا أجدهم فجأة أمامى داخل الشقة ..

طبعاً هذا الكلام لا أجرو أن أخبر به أحداً سواك لأنه
يشبهه — إلى حد كبير — ما يقوله المجانين ..

هؤلاء الضيوف غير المدعوين يجيئون إلى من حين
لآخر ليحكوا لى المزيد عن عالمهم ..

طبعاً لم تنجب (أشنا) لأن جسدها مجرد قشرة ، بلا
 رحم ولا مبايض ولا أى شيء .. لكنهما سعيدان معاً ..
 وهما - بعد ربع قرن أو أقل قليلاً - ينتقلان من بلد
 لبلد .. ويعيشان فى إطار جديد فى كل مرة ..
 والسبب - حتماً - هو شبابهما الدائم الذى سيثير
 الأوقاويل حولهما إذا استقرا للأبد فى مكان واحد .. اليوم
 هما زوجان يعملان فى محطة بنزين فى (فلوريدا) ..
 غداً هما طالبان فى كلية الهندسة بـ (موسكو) .. بعد
 غد هما يبيعان الشاي فى (غرزة) على طريقى
 (سمبود) .. المهم أنهما معاً .. وأنهما يقران من
 عدسات الكاميرا ومن الشمس الساطعة ...
 * * *

والآن ...

أسمع عواء - أو خرير - وحش أسطورى مرعب ،
 يتحرك فى أقبية الأساطير الإغريقية قادمة نحوى ..
 ليضيف ذكرى مروعة جديدة إلى ذكرياتى ...
 إن (المينوتور) قادم .. ومعنى هذا أن ندعو الله
 ألا نكون نحن ضحيته القادمة .. سأحكى لكم التفاصيل
 كلها .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

* * *

رقم الإيداع : ١٦٠٦